

رسل النبي ﷺ إلى ملوك العجم

رسل النبي ﷺ إلى ملوك العجم أبحاث في تاريخ الصحابة ﷺ

رسل النبي ﷺ إلى ملوك العجم

د. فاضل عبدالله رضوان السفيني

قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا - المكلا -
الجمهورية اليمنية

المستخلص. عني بحث " رسل النبي ﷺ إلى ملوك العجم " بتقصي تاريخ من أرسلهم النبي ﷺ لإيصال دعوته إلى أولئك الملوك، وهم : عمرو بن أمية الضمري إلى ملك الحبشة، ودحية الكلبي إلى قيصر الروم، وعبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى فارس، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية، وقد وافق ذلك بداية مرحلة الصلح مع قريش، ولا يخرج إرسالهم عن النصف الثاني من العقد الأول من القرن الأول الهجري، الموافق للنصف الثاني من العقد الثالث، من القرن السابع الميلادي، وأورد البحث أهم صفات الرسل، ذاكراً نسخة كتاب رسول الله ﷺ إلى كل ملك، متناولاً موقف كلٍ منهم من دعوة الإسلام، فكان ملك الحبشة متفرداً بالإجابة إلى الإسلام، ويكاد موقف ملك الروم وملك القبط يتشابه في الإيحاء بالإجابة مع استقرارهما على ما كان عليه قومهما، وانفرد ملك الفرس بفتح الموقف. ولم يتجاوز الباحث تناول موقف الملوك إلى غيره من تاريخهم، لاقتصار البحث على تاريخ الرسل ﷺ. ثم ختم البحث بجملة من النتائج.

مقدمة

الموضوع، يتناول حياة الرسل، الذين يغلب أن تُحيط بهم أمور قد تكون الرفعة والمغرم، أو الإهانة والعطب، وذلك قديماً ولا يزال. وأن الرسل الذين في هذا الموضوع هم من الصحابة، وحياتهم جميعاً حرية بالمعرفة، وأن لهم علو قدر، لأنهم من رسل النبي ﷺ: وأنهم خصوا بالإرسال إلى ملوك العجم الذين كانوا أعظم من سواهم، وإرسالهم يتحقق الجانب العملي لعالمية الإسلام، وأن الحاجة قائمة إلى استيفاء موضوع حياتهم، وتيسيره لمن يعنون به.

ودفعني إلى بحثه أن عيني وقعت على ذكر: " رسل النبي ﷺ إلى ملوك الأرض"، في السير والتاريخ - من وقت مبكر من حياتي العلمية - فأنجذبت إلى ذلك. وصار يستهويني نظره فأقرأ ما يُذكر تحته، إلى أن شُددت إلى متابعة ما كان مع كل رسول منهم في الأماكن الأخرى، فالتسعت معرفتي بما يتصل بحياتهم. ثم أمنت النظر في ذلك فقرّ لديّ أن أبحث في تاريخ الرسل إلى ملوك العجم بحثاً علمياً.

ويحتوي الموضوع على مقدمة، تتناول أهمية الموضوع، فدافع البحث، فمحتواه، فمنهجه. ثم أصل موضوع البحث، الرسل، وهم أربعة: عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، ودحية الكلبي إلى قيصر، وعبدالله بن حذافة إلى كسرى، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس، يُبحث في كل واحد منهم اسمه ونسبه، وإسلامه، فغزوه مع النبي ﷺ، فبعثه، وإرساله، فجهاده، وفوفاته.

والمنهج أن ترتيب الرسل في البحث اتباعاً لمن سبق^(١)، وما يكون من النقاط فعلى التاريخ الذي تتضمنه في أولها، وما في النقاط فعلى التسلسل التاريخي من بدايتها إلى نهايتها، والناظر يجد تحري ذلك.

الهوامش

(١) الزرقاني، محمد عبد الباقي، شرح على المواهب اللدنية، ...، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٣م،

وأستقري الموضوع في كل ما يمكنني الوصول إليه، ثم أجعله قائماً على المعتمد عليه من مصادر السيرة والحديث والتاريخ والتراجم والأنساب، ومكماً له من غيرها. وعندما تتعدد المصادر في الهامش فإن ترتيبها على التاريخ، والمراجع على الحروف، وفي قائمة المصادر والمراجع على الحروف، مقدماً الشهرة في المصادر، والاسم الأخير من المراجع، مستخدماً المنهج العلمي تحليلاً وتعليلاً وتوثيقاً.

التمهيد (صفات الرسل والملوك)

كانت مهمة هؤلاء الرسل أن يؤدوا عن النبي ﷺ دعوة الإسلام إلى أعظم الملوك، فكانوا جميعاً من المهاجرين، قال الله تعالى فيهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢١٨) (٢).

وأول وصف كان متحققاً فيهم، الإيمان، والإخلاص لله ولرسوله، والتقاني في حبهما، وحب الإسلام، ورجاء دخول المدعويين فيه، فالتعود على الأسفار، فمعرفة البلاد المتجه إليها علماً بأحوالها، أو تردداً إليها، أو إقامة بها، فتميزهم بأفضل مواهب الرجال شجاعة، وعقلاً، وجمالاً، وفطنة، وحسن ملكة. إضافة إلى ما عرف من أنهم كانوا أطلق ألسناً وأقوى حججاً. خطبوا بين يدي الملوك مقيمين الحجج عليهم. مع قولهم الشعر كلما احتاجوا إليه (٣).

لقد كان كل رسول منهم مؤهلاً ليكون ممثلاً للنبي ﷺ عند الملك المدعو، في راحة العقل، ورباطة الجأش بحضرة الملك، وفي قوة الخطاب وإيضاحه مع لينة، وإزاحته للشبهات، وإجتهاده في إشعار الملك بأنه ناصح أمين. كما يكون واسع الإدراك لكي يأتي النبي ﷺ بما يجلي له الموقف.

وكان النجاشي وقيصر والمقوقس يدعون الدين واتباع الرسل، ويهتمون بمدارسته مع أكبر رجالهم، ماعدا كسرى فليس كذلك، ولكنها دعوة النبوة إلى دين الله الحق، وإجابة ذلك من الملوك أحمد.

(٢) سورة البقرة، آية، ٢١٨.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق وإشراف شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١١، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٥٥٤ وعبدالحي الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي، نظام الحكومة النبوية، المسمى (الترتيب الإداري)، بيروت، دار الكتاب العربي، بدون، ج ١، ص ١٨٣.

عمرو بن أمية الضمري

اسمه ونسبه

هو أبوأمية، عمرو بن أمية بن خويلد بن عبدالله بن إياس بن عبد بن ناشرة بن كعب بن جُدي بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة^(٤)، فهو كناني ضمري. وقيل: في عبد بن ناشرة رشد وأسد؛ وقيل: عبد مناة بن علي بن كنانة^(٥). وفي كنانة يلتقي نسب عمرو بالنبي ﷺ وليس قرشيًا، لأن قرشيًا؛ هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة^(٦). لكن يُذكر أنه كان حليفًا لقريش^(٧).

عمرو في الجاهلية

كان عمرو رجلاً معروفاً، فلقد قال: "... وأنا أعرف فيها - مكة - من الفرس الأبلق"^(٨). هكذا هو بمكة - على كثرة من يأتيها - يميزه أهلها من بين الناس، ويعرفه أحدهم وإن كان في ليل، ولربما أن اتصافه بالفتك - في الجاهلية - والشيطنة

(٤) ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٣م، ص ١٨٠، ص ١٨٥.

(٥) ابن عساکر، *تاريخ مدينة دمشق*، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، واجتاز بنواحيها من واديها وأهلها، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٥م، ج ٤٥، ص ٤٢٠ وابن كثير، *جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن*، دقق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه عبدالمعطي أمين قلعجي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ج ٩، ص ٥٢٦.

(٦) أبو عبيد، *النسب*، تقديم ودراسة مريم محمد خير الحرع، بدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٩، ص ٢٢١ و*السهيلي، الروض الأنف*، تعليق طه عبدالرؤف، القاهرة، مؤسسة مختار للطباعة والنشر والتوزيع، بدون، ج ١، ص ١١٥.

(٧) أبو نعيم، *معرفة الصحابة*، تحقيق عادل يوسف العزازي، الرياض دار الوطن، ط ١، ١٩٩٨م، ج ٤، ص ١٩٩٣.

(٨) ابن خزيمة، *الصحيح*، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٩٧٩م، ج ٤، ص ٣٥٥.

جعله كذلك^(٩). وفاتك على إطلاقها تحمل معاني، منها: أنه ركوب ما هم من الأمور ودعت إليه النفس، وأنه يقتل مواجهة أو مجاهرة، وأنه عكس ذلك، وهو أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارٍ غافل فيشدّ عليه فيقتله^(١٠).

ولا يبعد أن عمرًا قد فعل ذلك كله. ولهذا شواهد سنثري في حياته. لكن - في الإسلام - لا يكون فتكه مطلقًا ؛ لأنه صح عن رسول الله ﷺ^(١١) أنه قال: "إذا أمِنَ الرجلُ الرجلَ على نفسه ثم قتلَه فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافرًا" ^(١٢). وقال ﷺ: "الإيمان قيد الفتك" ^(١٣)، "أي أن الإيمان يمنع عن الفتك، كما يمنع القيد عن التصرف، فكأنه جعل الفتك مقيدًا" ^(١٤).

والفتك بالمحارب يبقى واردًا لأن الحرب خدعة. قال رسول الله ﷺ: "الحرب خدعة" ^(١٥) ؛ إلا إذا أُعطي الأمان فلا فتك. قال رسول الله ﷺ: "أيما مؤمن آمن رجلاً على دمه فقتله فأنا من القاتل بريء" ^(١٦).

(٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت، دار سويدان، بدون، ج٢، ص٥٤٣.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٠، مادة، فتك، ج١٠، ص٤٧٢.

(١١) ح رقم ١ (حديث صحيح)، الطيالسي، المسند، تحقيق محمد بن عبدالمحسن التركي، مصر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٩٩٩م، ج٢، ص٦١٤.

(١٢) المصدر السابق، ج٢، ص ص٦١٤-٦١٥.

(١٣) ابن حنبل (الإمام)، أحمد، المسند ويليهِ القول المسند في الذب عن مسند الإمام أحمد لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالله محمد الدرويش، بدون، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩١م، ج٦، ص١٤.

(١٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، بدون، ج٤، ص١٣٠.

(١٥) البخاري، الصحيح، ضبطه ورقمه وذكر تكرار مواضعه، وشرح ألفاظه وجمله، وخرج أحاديثه في صحيح مسلم ووضع فهرسه مصطفى ديب البغا، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، واليامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٠م، ج٣، ص١١٠٢.

(١٦) ابن حنبل، المسند، مصدر سابق، ج٨، ص٢٢٠.

إسلامه ﷺ

يختلف في إسلام عمرو فعند بعضهم: أنه قديم الإسلام، وأنه هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة^(١٧). وعند آخرين أنه أسلم بعد الانصراف من أحد، بل يثبتون شهوده بدرًا^(١٨) وأحدًا مع المشركين^(١٩). وقال النووي: " والمشهور الأول " ^(٢٠).

سراياه ﷺ

نبدأ بالسرايا من أعمال عمرو ﷺ ؛ لأن ابتداء شهرته في الإسلام، كان في واحدة منها.

أ - **بعث بئر معونة^(٢١)**: كان عمرو أحدَ بَعَث بئر معونة، وفي الصحيح كانوا سبعين وعند ابن إسحاق أربعين ويمكن الجمع بأن الرؤساء أربعون وبقيتهم أتباع^(٢٢)، خرجوا إلى بني عامر بن كلاب بنجد، يدعونهم إلى الإسلام ؛ وهم في الجوار الذي أعطاه

^(١٧) أبو نعيم، معرفة الصحابة، مصدر سابق، ج٤، ص ١٩٩٣ وابن الأثير، أسد الغابة، بيروت، دار الفكر للطباعة، ١٩٨٩م، ج٣، ص ٦٩٠، ١٩٩١م، ج٢، ص ٢١٤ والعامري، الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة، أشرف على ضبطه عمر الديراوي أبو حجلة، بيروت، مكتبة المعارف، ط٣، ١٩٨٣م، ص ٢١٤.

^(١٨) بدر، على طريق مكة القديم، تبعد عن المدينة (١٥٥ كيلاً)، وعن مكة (٣١٠ ك)، البلادي، عاتق بن غيث، معجم المعالم الجغرافية، مكة، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م، ص ٤١.

^(١٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، بدون، ج٤، ص ٢٤٨، والذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٩م، (عهد معاوية)، ص ٨٦، وابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبدالوجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٥م، ج٤، ص ٤٩٦.

^(٢٠) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م، ج٢، ص ٣٤١.

^(٢١) بئر معونة، بين أرض بني عامر وحره بني سليم على بعد (١٦٠ ك) عن المدينة، العُمري، أكرم ضياء، المجتمع المدني في عهد النبوة، بدون، ط١، ١٩٨٤م، ص ٩٠.

^(٢٢) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون، ج٣، ص ١٩٤ وابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي وإشراف محب الدين الخطيب، الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ج٧، ص ٣٨٧.

أبو براء^(٢٣)، - سيد بني عامر - رسول الله ﷺ لمن يخرجون إلى قومه، فغدر بهم ابن أخي أبي براء، عامر بن الطفيل، إذ استصرخ عليهم - حين امتنع بنو عامر للجوار المذكور - قبيلة بني سليم، فنفرت معه عصية ورعل وذكوان من بني سليم فأحاطوا بهم وهم آمنون فقتلوا، وكان عمرو ومعه أنصاري في سرح البعث آمنين مثل ما كان إخوانهم فما راعهم إلا الطير وذلك بعد ما عُدر بإخوانهم فقتلوا جميعاً إلا واحداً كان جريحاً بين القتلى ارتث وعاش بعد الواقعة، وكان رأي عمرو هو أن يلحقا برسول الله ﷺ ليخبراه بمصائب إخوانهم ؛ لكنه نزل عند رغبة أخيه في السير إلى القوم، ثم إن الأنصاري قاتل حتى قتل، وأسر عمرو ثم إن عامر بن الطفيل عندما عرف أنه ضمري - أي مضري وعامر مضري - أطلقه زاعماً أن على أمه عتق رقبة، وأنه يعتقه عنها، فكان من بينهم الذي سلم. وقُبل دخوله المدينة قتل رجلين من بني عامر بن كلاب ظاناً أن قد أصاب بعض ثأره. ولم يكن كذلك ؛ لأنهما كانا راجعين من عند رسول الله ﷺ ومعهما عهد منه. وكان الخروج في هذا البعث في أول صفر سنة أربع هجرية والرجوع بعد العشرين من الشهر^(٢٤).

وقُتله الرجلين في مرجعه هذا فيه إحدى صور فتكه سواء كان قد قتلها ما اغتراراً أم مواجهة، فقد ذُكر الأمران كلاهما، وأنه أتى إلى النبي ﷺ فأخبره بأمر أصحابه وما كان من أمره وأمر أخيه الذي كان معه في السرح فأتى العدو فقاتلهم حتى قتل، فقال فيه النبي ﷺ قولاً حسناً، وقال: " أنت من بينهم! - أي نجوت من القتل - ويروى أنه قال لعمرو: " فهلا تقدمت فقا تلت حتى تقتل ". وذكر عمرو الكلابيين اللذين قتلها أيضاً. فقيل إنه قال له: بس ما صنعت، قتلت رجلين كان لهما مني أمان وجوار، لأديتَهما^(٢٥).

(٢٣) أبو براء المعروف بملاعب الأسنة، وهو، عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن

عامر بن صعصعة، عم عامر بن الطفيل، أبو عبيد، النسب، مصدر سابق، ص ٢٥٩.

(٢٤) ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٩٨٧م، ص

ص ٢٣١-٢٣٣، ٢٣٤ وابن حزم، جوامع السيرة النبوية، بيروت، القاهرة، دار الجيل ومكتبة

التراث، ط ٣، ١٩٨٤م ص ص ١٤٢-١٤٣.

(٢٥) الواقدي، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، بيروت، عالم الكتب، بدون، ج ١، ص ٣٥١-٣٥٢

وابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٤٨، والبيهقي، السنن الكبرى، إعداد يوسف

عبدالرحمن المرعشلي، بيروت، دار المعرفة، بدون، ج ٩، ص ١٠٠.

بعثه ﷺ عيناً: سار عمرو لهذه الغاية بعد حادثة الرجيع^(٢٦)، الراجح وقوعها في صفر سنة أربع^(٢٧)، وإن ذُكر آخرون أنها كانت في سنة ثلاث هجرية^(٢٨)، وبالرجيع كان الغدر بمن بُعثوا للتعليم^(٢٩). وأما ما ذُكر من أنهم كانوا عينا فلعل النبي ﷺ كان هياً أولئك لبيعهم عينا له إلى مكة، فوافق مجيء نفر من عضل والقارة مظهرين أن فيهم إسلاماً وأنهم محتاجون لمن يعلمهم، فبعثهم ﷺ معهم معلمين ولإتيانه بالأخبار، وقصتهم طويلة^(٣٠). ولم تُذكر هنا إلا لأن بعث عمرو كان بعدها إذ سيّره النبي ﷺ وحده عيناً على قريش فبلغ مكة ففضى بعض حاجته، ثم كرّ راجعاً إلى المدينة. وفي حسابانه أن يأتي التعيم مكان صلب خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، اللذين كانا في بعث الرجيع. وكان قتلها في سنة الرجيع نفسها. وأما القول بأنهما حُبساً بمكة إلى بعد المحرم ثم قتلًا فمُشكل^(٣١)؛ لأنه إن حُدد بسنة أربع كان قبل البعث، أو بالتالي تليها كان بين الأسر والقتل سنة، وذلك بعيد. وقد صُلب مع خبيب زيد وحرسهما المشركون، فأتى عمرو أحد المصلوبين ففك جنته فحملها فهب المشركون من نومهم ليلحقوه فوقعت منه الجثة فعاد ليراها فلم يرها فيظنون أن الأرض ابتلعها، لأنه لم

(٢٦) الرجيع، يعرف بالوطية، قرب عسفان، بلدة شمال مكة، على بعد (٨٠ ك)، البلادي، عاتق بن غيث، معجم المعالم الجغرافية، مرجع سابق، ص ٢٠٨، ولوححتها ترى على طريق المدينة.

(٢٧) فاضل عبدالله رضوان، بعث النبي ﷺ السرايا إلى الأشخاص، (رسالة دكتوراه، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، ص ١٦٣، ٢٠٩.

(٢٨) القيرواني، الجامع في السنن والآداب والمغازي، حققه محمد أبو الأجنان وعثمان بطيخ، بيروت، تونس، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥ م والمكتبة العتيقة، ص ٢٧٦، ٢٧٨ والعمرى، بريك محمد بريك أبو مائلة، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، دراسة نقدية تحليلية، الدمام، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٩٩٦ م، ص ٢٢٩.

(٢٩) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٧-٥٨.

(٣٠) الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥٤-٣٥٨ والزرقاني، محمد عبد الباقي، شرح المواهب اللدنية، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٥-٦٩.

(٣١) الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥٨ والزرقاني، محمد عبد الباقي، شرح المواهب اللدنية، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٨.

يُعرف لخبيب عظم بال^(٣٢). هكذا نعرض للمتبادر من عمل عمرو في جثة خبيب رضي الله عنهما مبتعدين عن تحديدها بالإنزال، وما جرى من ابتلاع الأرض لها؛ لأنه يُروى أن النبي ﷺ بعث الزبير لها، فأتاها فحملها فلوحيق فألقاها، فغابت^(٣٣). وإن نقطع بما يُنسب لكل منهما في ذلك نُخطيء. وإني قد رأيت عند الواقدي ما أحسبه يحل الإشكال، وهو أنه يذكر أن خبيباً وزيد بن الدثنة قتلا وصلبا بالتتعيم^(٣٤). ولا يبعد عند ذلك أن يكون الزبير قد بُعث لدفن الاثنين، وقد فعل ما مر ذكره وكان في ليل وخوف، ولا يُعلم على اليقين أي الجثتين كان له معها ما كان. وعمرو أيضاً قصد خبيباً وحاله لا يختلف عن الزبير فيكون أنزل إحدى الجثتين وهو يظنها خبيباً وغابت في الأرض مثل ما غابت الأخرى؛ لأنه لا يستبعد ابتلاعها إذا كان قد وقع لمثيلتها.

ب - بعثه لقتل أبي سفیان: آلت سيادة قريش - بعد بدر - إلى أبي سفیان بن حرب، فكان موقفه هو أن يسخر كل ما يقدر عليه للقضاء على صاحب الرسالة وأتباعه^(٣٥)، وكان من ذلك أنه أغرى أحد الأعراب في اغتيال رسول الله ﷺ فجهزه خفية، وحين دخل الأعرابي المدينة، كشف أمره، فاعترف أن وراءه أبا سفیان فأخلي سبيله. ثم بعث النبي ﷺ عمراً وسلمة بن أسلم الأنصاري، وقيل جبار بن صخر الأنصاري إلى أبي سفیان ليقتلاه إن قدرا على ذلك. فسارا على راحلة واحدة، وقيل دخولهما مكة المكرمة تركا الراحلة، ثم دخلاها بأول ليل، وكان عمرو لا يريد أن يقدم شيئاً على قصد أبي سفیان لأنه معروف بمكة وإن يره أحد أهلها خافه وأنذر به الناس ليحذروه، وأبو سفیان سيد الحذرين لكن الأنصاري حمل عمراً على البدء بالطواف، فراهما معاوية، فأنذر قومه ففرا واختبئا في غار غير بعيد. وأيقن أهل مكة أن ما جاء

(٣٢) ابن حنبل، المسند، مصدر سابق، ج٦، ص ١٠٩ و٨، ص ٣٤٤ والطبراني، المعجم الكبير،

حققه حمدي عبدالمجيد السلفي، بدون، دار إحياء التراث العربي، بدون، ج١، ص ٢٩٢ و٤،

ص ٢٢٣ والزرقاني، محمد عبد الباقي، شرح المواهب اللدنية، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٥.

(٣٣) ابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٢٦ والشامي، سبل الهدى، تحقيق عبدالعزيز

عبدالحق حلمي، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٠م، ج٦، ص ٧٣.

(٣٤) الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٨، ٣٦٢.

(٣٥) فاضل عبد الله رضوان، موقف يهود خيبر وشمال الحجاز من الدولة الإسلامية إلى إجلائهم في

عهد عمر رضي الله عنه، (رسالة ماجستير، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، الدراسات العليا التاريخية والحضارية،

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، ص ١٧٨.

عمرو إلا لشراً فطلبوه، ولم يهتدوا إليهما أو لراحتهما التي كانت على طريق المدينة فتفرقوا، وفي النهار غداً إلى ناحيتهم أحد المشركين على فرس له يريد علفاً للفرس، فأشرف على الغار وخشياً من أن يراهما، فعاجله عمرو بطعنة - ورجع إلى الغار - صاح منها صيحة سمعت بمكة فأتوه فكلّمهم أن قاتله عمرو ثم مات من دون أن يخبرهم بالمكان وشغلوا به. وبعد دخول الليل أخذوا طريقهما إلى المدينة مع تقدير إمكان الافتراق، وأن تكون الراحة من نصيب الانصاري ليلحق برسول الله ﷺ. فعمرو يحسب حساب نجاته وأخيه مع حرصه على تعويض مافاته من قتل أبي سفيان ولو بأدنى منه. فوقع الافتراق فكانت لعمرو قصته التي انفرد بها. وابتدأها باقتحامه لدفن خبيب، وليس هذا مكانها وإنما مكانها تقدم في بعثه عينا. وتبدأ القصة من أنه انطلق حتى إذا بلغ ضجنان^(٣٦) اختبأ في غار هناك، فأثاه فيه راعي من بكر بن الدئل فسأل عمراً ممن هو، فأجابه من بني بكر فقال: وأنا من بني بكر، ثم ألقى نفسه في الغار رافعاً صوته يتغنّى بما دل عمراً أنه عدوّ الله، محارب للإسلام فتمنى أن يمكنه الله منه، فنام فقتله وانطلق، وفي طريقه لقي رجلين يتجسسان أمر رسول الله ﷺ لقريش فصرخ فيهما أن يستأسرا فأبيا، فرمى أحدهما فقتله واستأسر الآخر فأتى به رسول الله ﷺ فأخبره بما صنع هو، فأعجبه ودعا له. أما ما كان من خبره وسلمة بمكة فإنه كان قد قدم به قبل سنة ثلاث^(٣٧).

وهذا البعث مذكور عند كثيرين في سنة أربع، وغيرهم في سنة ست، وقد رؤي ترجيح الثاني^(٣٨).

ج - البعث إلى أكيدر دومة^(٣٩): كان عمرو في سرية خالد بن الوليد التي وجهها

^(٣٦) ضجنان، حرّة، تمر بنصفها الطريق من مكة إلى المدينة على بعد (٥٤ كيلاً)، ويعرف اليوم بالمحسنية، العمري، بريك محمد بريك أبو مائلة، السرايا، مرجع سابق، ص ١٦٧.

^(٣٧) الطبري، تاريخ الأمم، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٤٣ والبيهقي، دلائل النبوة، تخريج عبدالمعطي قلنجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٥م، ج ٣، ص ٣٣٣-٣٣٧.

^(٣٨) فاضل عبد الله رضوان، بعث النبي ﷺ السرايا إلى الأشخاص، مرجع سابق، ص ١٨٠.

^(٣٩) دومة، هي، دومة الجندل، بين الحجاز والشام وتبعد عن المدينة بعشر مراحل والكوفة مثلها وعن دمشق بثمان، البكري، معجم ما استعجم...، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٥٦٥، وياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٣٢٥.

رسول الله ﷺ من تبوك^(٤٠) إلى دومة الجندل لأخذ أكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة. فأتاها خالد ليلاً، فقتل حسان أبا أكيدر وأسر أكيدرا، ثم إنه بعث عمرًا إلى رسول الله ﷺ ليخبره بأخذ أكيدر، فأتى عمرو إلى النبي ﷺ بالخبر، ومعه قباء حسان أخي أكيدر^(٤١). والقباء كساء عظيم، " فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسول الله: أتعجبون من هذا! فو الذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا! " ^(٤٢) .

غزوه ﷺ

عمرو ﷺ إن لم يُقطع في أنه من المهاجرين السابقين، إلا أنه يجزم بعه من المهاجرين عامة، ولا مغمز على المهاجرين في الإيمان. ويشار إلى شهوده مع النبي ﷺ ما أعقب موقعة بئر معونة من الغزوات دون تأكيد شهودها كلها، وإذا كان عمرو ليس ممن يتخلفون عن رسول الله ﷺ فإنه لن يخلفه لجرأته ونجدته^(٤٣). ولقد أدرك غزوة خيبر^(٤٤)، التي كانت مظنة غيابه لابتعائه إلى النجاشي^(٤٥)، وشهد غزوة تبوك التي خُلف عنها البكاعون من صادقي الإيمان، لأنهم لا يجدون ما يحملون أنفسهم

^(٤٠) تبوك، شمال المدينة المنورة على بعد (٦٨٦ ك)، فاضل عبدالله رضوان، موقف يهود خيبر، ص ١٩١.

^(٤١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص ٤٢٩ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ٩، ص ٢٠٣ و ٤٥٤، ص ٤١٨، ٤١٩.

^(٤٢) الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٠٢٦ والطبري، تاريخ الأمم، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٠٩.

^(٤٣) المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م، ج ٢١، ص ٥٤٦-٥٤٧.

^(٤٤) ابن هشام، السيرة، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٥٥، والبخاري، التاريخ الكبير، تحقيق مصطفى عبدالقادر أحمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٦، ص ١٣٣، عوض أحمد سلطان والشهري، مرويات غزوة خيبر، (ماجستير ١٣٩٩-١٤٠٠)، قسم الحديث، الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص ٢٨٨-٢٨٩.

^(٤٥) النجاشي، لقب لكل من ملك الحبشة، النووي، شرح صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٩٧٢م، ج ١٢، ص ١١٢-١١٣.

عليه، وليس عند رسول الله ما يحملهم عليه^(٤٦). ويظهر أن تكرار بعث النبي ﷺ عمراً أوقع الظن بغيابه عن بعض الغزوات.

ابتعائه رسولاً

وكان عمرو من أولئك الرسل المؤدبين عن النبي ﷺ الدعوة، مع تميزه بتعدد من يُرسل إليهم.

أ - البعث بمال إلى أبي سفيان: بلغ النبي ﷺ - في جمادى الآخرة سنة خمس - أن قريشاً أصابتهم شدة حتى أكلوا الرمة (الجيفة)، فبعث بشيء من الذهب إليهم مع عمرو بن أمية وأحد الأنصار^(٤٧)، فذهبا وأدبا المال، وكان في قريش من لم يقبل المال فتقبله أبوسفيان، ويتضح أن عمراً فطن لما يقوم به من ردوا صلة رسول الله ﷺ من العدوان عليه، فأتى إلى دار أبي سفيان وعندما قُصد قال لزوجة أبي سفيان: يا فلانة، أؤخذ من بيتك ودارك أما والله لو كنت نزلت على فلانة فمنعني! فقامت دونه وقالت لأبي سفيان لئتمنعن ضيفي فمنعه. فعادا بالأدم الذي أهده أبو سفيان للنبي ﷺ^(٤٨). والأدم، الجلود^(٤٩).

ويتصل بهذا البعث أمران يُستشكل ظاهرهما

أحدهما: أن رواية بعثه قد حصل فيها خلاف، فهي عند فريق تضمنت أن البعث بالمال إلى أبي سفيان كان " وهم مشركون " ^(٥٠)، وعند آخر أن البعث بالمال إلى أبي

^(٤٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، حلب، مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٠م، ج٢، ص ٣٨١، ٣٨٢.

^(٤٧) ابن حبان، الثقات، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان المصطفى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م، ج١، ص ٩٧، وابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، مراجعة زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون، ج٣، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

^(٤٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج٢٣، ص ٤٤١ - ٤٤٢ وابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٣٣.

^(٤٩) ح رقم ٢، هارون، عبدالسلام محمد، تهذيب سيرة ابن هشام، مصر، مكتبة السنة، ط٥، ١٩٨٧م، ص ٦٧.

^(٥٠) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج٥٥، ص ٤٢٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٣، ص ١٨٠.

سفيان، " يقسمه في قريش بعد الفتح " ^(٥١)، ومن يقتصر نظره على هذا مما عند الفريقين فإنه يسوغ له أن يقول أن عمراً قد بعث إلى مكة بمالٍ مرتين. ولكن النظر الدقيق في رواية بعث عمرو التي استوفت وصف البعث، يوصل إلى أن الرواية واحدة بمجموع ما تضمنته، والخلاف فيها محدود بما يتصل بتاريخ البعث، وتاريخه قد أثبت في أول الحديث عنه. ونعتمد التي جاء فيها أن المال أرسل إلى مكة وهم مشركون ؛ لأنه كان في وقت زعامة أبي سفيان عند جميعهم، وهذا ما كان إلا قبل الفتح، أما بعد الفتح فعلى مكة أمير نائب عن رسول الله ﷺ غير أبي سفيان، ولن يرسل النبي بالمال لأهل مكة إلا إلى أميره، ولن يحدث لعمرو - بمكة- ما يخيفه، إلا قبل الفتح. ويؤيد هذا ما أورده ابن حجر إذ وافق في أمر المال من قالوا أرسل إلى أهل مكة " وهم مشركون ". و قال ابن حجر في آخر ذلك: " فقال أبو سفيان: ما رأيت أبر من هذا ولا أوصل، إنا نجهد به، ونطلب دمه، وهو يبعث إلينا بالصلوات يبرنا بها وهو عند أبي داود وغيره. . . " ^(٥٢) وإنه بما فعل قد اعتمد أن البعث كان قبل الفتح، وإن تضمنت الرواية عند فريقٍ ما يخالف ذلك، وأنه بعث واحد.

ثانيهما: نصح النبي ﷺ للأنصاري أمير البعث بأن يحذر على المال من عمرو إذا مر بَوْدَانَ ^(٥٣) ديار قومه بني ضمرة ^(٥٤)!. إن مما قاله أحد شراح الحديث في ذلك: " لعل هذا الخوف من عمرو بن أمية وعدم الطمأنينة كان في أول الإسلام! ثم صار بعد ذلك من خيار الصحابة وأجلاتهم " ^(٥٥). وفيه نظر لأنه في هذا الوقت لا ينطبق عليه وصف " أول الإسلام " بل قد سبق له بلاء حسن. ويصح أن يقال إن تحذير

^(٥١) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٤، ص٢٩٦، وابن حنبل، المسند، مصدر سابق، ج٨، ص٣٤٧، وأبو داود، سنن أبي داود، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٧م، ج٥، ص١١٨.

^(٥٢) الإصابة، مصدر سابق، ج٤، ص٤٥٩-٤٦٠.

^(٥٣) ودان، موضع بين مكة والمدينة، وبينه وبين رابغ تسعة وعشرون ميلاً، المباركفوري، صفى الرحمن، الرحيق المختوم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٩م، ص١٩٨.

^(٥٤) البيهقي، السنن الكبرى، مصدر سابق، ج١٠، ص١٢٩.

^(٥٥) محمد شمس الحق العظيم أبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م، ج١٣، ص٤٣.

النبي ﷺ للأَنْصَارِيِّ - أمير البعث - كان بمثابة سرٍّ استنكتمه عليه، وداعيه الحبيطة والحذر، وذلك معمول به فلقد كان يُخْرَجُ بَعُوْثُهُ من غير علم أجلة أصحابه -فضلاً عن سواهم ممن بالمدينة- بوجهتهم، وما سيعملون، وقد يخص أمير البعث بسرٍّ للمصلحة التي أولها سلامة البعث، وثانيها: نجاحه، وقد كان قوم عمرو على الطريق إلى مكة ويخاف نزوله ببعضهم فيعلمون منه من أمر المال شيئاً عن طريق الخطأ فيسعون لأخذه. فيكون الأنصاري من مثل ذلك على حذر.

وتناول أحدهم ذلك على أنه سنة فعلية - فعل النبي ﷺ - يستفاد منها "إثبات الحذر، واستعمال سوء الظن، وأن ذلك إذا كان على وجه طلب السلامة من شر الناس: لم يَأْثُمُ به صاحبه ولم يجرح فيه " (٥٦). وعلى ذلك فالتعامل بالحذر يشمل من لا قدح في فضله.

ب - بعثه إلى النجاشي: قدوم عمرو بالكتاب الأول، وهو مهاجر إلى الحبشة، وكان ملكها أصحمة^(٥٧) الذي رواه الطبري بسنده عن ابن إسحاق، وهو: " بَعَثَ رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سلم أنت ؛ فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة، فحملت بعيسى فخلق الله من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ؛ والموالاتة على طاعته ؛ وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني ؛ فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ونفراً معه من المسلمين ؛ فإذا جاءك فأقرهم، ودع التجبر ؛ فإني أدعوك وجنودك إلى الله ؛ فقد بلغت ونصحت؛ فاقبلوا نصحي ؛ والسلام على من اتبع الهدى " (٥٨).

(٥٦) المنذري، مختصر سنن أبي داود، ومعه معالم السنن، . . . ضبط وتصحيح كامل مصطفى

الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٤، ص ٣٨٦.

(٥٧) أصحمة، بمهملتين بن أبجر، أو أبجر، وهو ذو الذكر الحسن مع مهاجرة الحبشة في مدتهم

كلها. والذي جاء بعده كان سيئاً، ابن حنبل، المسند، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣١٦.

(٥٨) الطبري، تاريخ الأمم، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٥٢.

وقد تضمن هذا الكتاب: " فإذا جاءك - جعفر ومن معه - فأقرهم ". وظاهر هذا اقتترانه بهجرة الحبشة، وقد كانت في السنة الخامسة من البعثة النبوية، وهذا الأمر الأول الذي يُلفت إليه، والأمر الثاني: الاحتمال أن صاحب الكتاب، هو جعفر لأنه كان أمير المهاجرين إلى الحبشة^(٥٩)، والأكرم لجعفر وللنجاشي أن يأتي بالكتاب جعفر بل والأرجى للقبول. وأما جعل ابن إسحاق المبعوث بالكتاب إلى النجاشي عمرو بن أمية، فلعله جاء من تأخر كتابة النبي ﷺ للكتاب إلى بعد خروج جعفر من مكة، وقد أعدَّ عمراً الذي كان خارجاً للهجرة لإدراك جعفرًا به، واكتفى ابن إسحاق بنسبة البعث لعمرو لأنه خرج به من مكة، وكلاهما خرجا مهاجرين وليسا رسولين.

إتيان عمرو إلى الحبشة رسولاً، وجه النبي ﷺ عمراً بكتابه إلى النجاشي ملك الحبشة بعد منصرفه من عمرة الحديبية (غزوة الحديبية)، فيقدم عمرو الحبشة سنة سبع هجرية على النجاشي - هو أصحمة - فيسلم له الكتاب الذي يدعو فيه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فيعظم النجاشي كتابه ويكرم مبعوثه^(٦٠)، والكتاب " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة، فحملت بعبسى، فخلق الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعتني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى"^(٦١). ورجاء إسلام النجاشي - في هذا الكتاب - شيء ملحوظ.

وتُذكر لعمرو كلمة بين يدي النجاشي - لا طفه فيها وحاجّه - هي: " يا أصحمة إن عليّ القول وعليك الاستماع إنك كأنك في الرقة علينا منا، وأنا بالثقة بك منك، لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا

(٥٩) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٤ والنووي، تهذيب الأسماء، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٤ ومحمود شيث خطاب، سفراء النبي ﷺ، بيروت، جدة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والوزيع، ودار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، ج١، ص ٥٣.

(٦٠) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٦١) ابن القيم، زاد المعاد، حققه شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة،

ط ٨، ١٩٨٥م، ج٣، ص ٦٨٩.

الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاضٍ لا يجور، وفي ذلك وقع الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق النبي عليه السلام رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر " (٦٢).

فأجاب بالإسلام ناطقاً بشهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتية لأتيت، وكتب إلى رسول الله ﷺ، بإجابته وتصديقه وإسلامه وطاعته. ثم حفظ الكتاب حفظ تعظيم وتبرك راجياً أن يفعل من يأتي بعده ما فعل (٦٣). وإن الوصف الذي ينطبق على جعفر بالحبشة أنه كان مهاجراً وسفيراً، وكان هو الذي يُدعى للحضور إلى النجاشي في أمر المهاجرين؛ وقد كان لحسن سيرته، وعلمه، وحكمته، وصدقه، وصلابته في الدين، الأثر البالغ في إسلام النجاشي (٦٤).

وكالة عمرو في نكاح النبي ﷺ بالحبشة: لأن إسلام النجاشي عنده كان هو الغالب، فقد كتب له كتاباً آخر أن يزوجه بأُم حبيبة بنت أبي سفيان - رضي الله عنها - التي كانت فيمن بقي من المهاجرين هناك إلى بعث عمرو. وعندما أسلم أعطاه عمرو ذلك الكتاب، فأرسل لها النجاشي من تُعلمها بخطبة رسول الله ﷺ لها فرحبت، فأنكحها رسول الله ﷺ وقيل عمرو النكاح وكيلاً عنه (٦٥).

وُقُصِدَ بعمرو الشر، إذ رآه عمرو بن العاص خارجاً من عند النجاشي عندما قدم على رأس عدد من قريش ممن كانوا على مثل ما هو عليه من كراهية صلح الحديبية، وقد جاء بالهدايا التي تطيب للنجاشي، وعندما رأى عمراً دخل على النجاشي

(٦٢) السهيلي، الروض الأنف، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٠٤ وابن القيم، زاد المعاد، مصدر سابق، ج٣، ص ٦٨٩.

(٦٣) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج١، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٦٤) ابن إسحاق، السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، بدون مكان، دار الفكر، ط١، ١٩٧٨م، ص ١٧٥، ص ٢١٣-٢١٨ ومحمود شيث خطاب، سفراء النبي ﷺ، مرجع سابق، ج٢، ص ٣١٧-٣١٩.

(٦٥) البيهقي، السنن الكبرى، مصدر سابق، ج٧، ص ١٣٩ وابن الجوزي، صفة الصفوة، حققه محمود فاخوري، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م، ج١، ص ١١٦ وابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق، ج٦، ص ٢١٥.

ليبيدي له رغبته في قتل عمرو ؛ لأنه رسول لعدو قريش، وفي قتله رضا له ولقريش، فغضب النجاشي من ذلك وزجره، ثم استتبع الأمر فدعاه للإيمان بمحمد ﷺ فقبل (٦٦). ثم قدم عمرو بجعفر ومن كان معه على رسول الله ﷺ بخيبر (٦٧). ثم أرسل النبي ﷺ بعد رجوعهم لغير أصحمة كتاباً ساء رده عليه (٦٨).

ويكون عمرو قد حقق الأمور الثلاثة في بعث واحد، وإن كان عند بعضهم متعدداً (٦٩)، إذ الزمن لا يتسع لابتعاث عمرو ثلاثاً ؛ فالابتعاث إلى النجاشي كان في آخر سنة ست وهو الأمر الأول، والقدوم بجعفر كان في شهر ربيع سنة سبع وهو الأخير، والزواج بينهما (٧٠).

ج - بعثه إلى مسيلمة: سير النبي ﷺ عمراً إلى مسيلمة الكذاب - لعنه الله - يدعوه إلى الإسلام، فأوصله إليه ثم عاد بكتاب مسيلمة، ويذكر فيه أنه نبي مثل محمد ﷺ ويطلب منه أن يقاسمه الأرض، ويذكر أن قريشاً قوم لا يعدلون (٧١).

وفاته ﷺ

إن مما كان من عمل عمرو، ابتعاثه إلى مسيلمة الكذاب، وقد كان ظهوره في مرض النبي ﷺ في آخر سنة عشر أو أول إحدى عشرة هجرية (٧٢)، وإن جعل أحدهم ذلك سنة تسع (٧٣) ؛ لأن المعروف أن مسيلمة ادعى النبوة عندما بلغه المرض.

(٦٦) ابن هشام، السيرة، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٨٩، ٢٩٠ وابن حنبل، المسند، مصدر سابق، ج٦، ص ٢٣١ والهيثمي، مجمع الزوائد بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م، ج٩، ص ٣٥١.

(٦٧) ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج٧، ص ٤٨٦.

(٦٨) مسلم، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٧٢م، ج٣، ص ١٣٩٧ وابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج٨، ص ١٢٩.

(٦٩) ابن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، بدون، مؤسسة التاريخ العربي، بدون، ج٢، ص ٦٣.

(٧٠) فاضل عبد الله رضوان، موقف يهود خيبر، مرجع سابق، ص ١٦٠، ١٦٨ و عوض أحمد سلطان الشهري، مرويات غزوة خيبر، مرجع سابق، ص ٥٩.

(٧١) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج١، ص ٢٧٣ وابن ماكولا، الإكمال، مصدر سابق، ج٢، ص ٦٣ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج٤٥، ص ٤٢٣.

(٧٢) الطبري، تاريخ الأمم، مصدر سابق، ج٣، ص ١٤٦-١٤٧.

(٧٣) القيرواني، الجامع، مصدر سابق، ص ٢٩٥.

وبعد رحيل النبي ﷺ لزم عمرو سكنى المدينة المنورة^(٧٤)، وإن احتمل خروجه جهاداً في سبيل الله، إلا أننا لم نر تسجيل أعماله فيما بعد النبوة فقد عاش عهد الخلفاء الراشدين. ثم توفي في عهد معاوية سنة ثمان وخمسين هجرية، وعليه الأكترون^(٧٥)، وابن حجر لا يستبعد أن يكون عمرو حياً في سنة ستين^(٧٦).

دحية بن خليفة الكلبى

اسمه ونسبه

دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج^(٧٧) (وهو زيد مناة) ابن عامر بن بكر بن عامر (الأكبر) بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور ابن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة^(٧٨). وجزم أحدهم أن ليس في الصحابة من اسمه دحية سواه^(٧٩).

وكان بنو كلب - اليمينيون، الذين ينتسب إليهم دحية - في الجاهلية ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام^(٨٠).

جماله

يذكر أن جمال دحية كان مفترطاً، حتى حكى بعضهم أنه كان يمشي مثلثاً خشية أن تفتن به النساء^(٨١)، وأن المعصرات بالمدينة كانت تخرج لقدمه، -

^(٧٤) مسلم، الطبقات، الرياض، دار الهجرة للنشر. . ط ١، ١٩٩١م، ج ١، ص ١٤١، ١٥١.

^(٧٥) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٤٩ وابن حجر، تهذيب التهذيب، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٤م، ج ٨، ص ٦ والعامري، الرياض المستطابة، مصدر سابق، ص ٢١٥.

^(٧٦) فتح الباري، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٨.

^(٧٧) الخزرج، بالخاء والزاي والجيم، هو، العظيم البطن، وليس أخو الأوس، العيني، عمدة القاري، ضبطه وصححه عبدالله محمود محمد عمر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠١م، ج ١، ص ١٣٨.

^(٧٨) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٤٩ وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص ٤٥٥، ٤٥٨.

^(٧٩) العيني، عمدة القاري، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٩.

^(٨٠) السمعاني، الأنساب، تعليق عبدالله عمر البارودي، بيروت، دار الجنان، ط ١، ١٩٨٨م، ج ٥، ص ٨٥ والقلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، بدون، ج ١، ص ٣١٦.

والمعصرات البنات اللاتي قارين البلوغ من ذوات الخدور - فإذا خرجن وهن على تلك الحال كانت النساء أحرى بالخروج^(٨٢)، وجماله معروف وقد جرت المفاضلة بين حسنه وحسن جرير^(٨٣) بن عبدالله، فقيل: " أجمل الناس من نزل جبريل على صورته - يعني دحية - " ^(٨٤). وقال الذهبي: " ولا ريب أن دحية كان أجمل الصحابة الموجودين بالمدينة، وهو معروف، فلذا كان جبريل ربما نزل في صورته " ^(٨٥).

إسلامه ﷺ

أسلم دحية قديماً^(٨٦)، وذكر أحدهم: " أنه هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وعاد إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة " ^(٨٧). وإن صح ذلك، فيصير دحية ﷺ من المهاجرين السابقين. إلا أنه يعكر عليه ذكر أنه لم يكن قد أسلم يوم أن قدم بالتجارة التي تسببت في خروج بعض الصحابة والنبي ﷺ قائم على المنبر يخطب بهم خطبة الجمعة بمسجده بالمدينة^(٨٨)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَزْرِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿١١﴾ ^(٨٩). ويظهر لي أن أحدهم: بنى على عدم شهود دحية بدرًا تأخر إسلامه إلى بعد بدر^(٩٠)، مع أن من ذكروا قدم

(٨١) العيني، عمدة القاري، مصدر سابق، ج١، ص ١٣٨ و عبدالحى الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي، نظام الحكومة النبوية، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٩٣.

(٨٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج١٧، ص ٢١٥ وابن منظور، لسان العرب، مادة، عصر، ج٤، ص ٥٧٧.

(٨٣) جرير، هو، ابن عبدالله بن جابر (الشَّليل)، بن مالك. . . البجلي. . . ، " قال عمر بن الخطاب، جرير، يوسف هذه الأمة. . . "، ابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٣.

(٨٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٥٤.

(٨٥) المصدر السابق.

(٨٦) ابن سعد، الطبقات، مصدر السابق، ج٤، ص ٢٤٩.

(٨٧) ابن حديدة، المصباح المضي، . . .، صححه محمد عظيم الدين، بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٥م، ج١، ص ٢١٦.

(٨٨) ابن كثير، تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٦٨.

(٨٩) سورة الجمعة، آية، ١١.

(٩٠) علي برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية . . .، مكة المكرمة، دار الباز للنشر والتوزيع، ١٩٨٠م، ج١، ص ٤١٢.

إسلامه قد نفوا شهوده بدر^(٩١)، وقد قيل: إن التجارة كانت لعبدالرحمن بن عوف، وكان وكان دحية السفير فيها - بأجرة معينة - أو كان مقارضاً، والمُقارض: المضارب، والمضاربة: أن يكون للعامل نصيب من ربح المال^(٩٢).

ولا يفوتني أن أذكر أنه قد رُوِيَ: أن دحية أسلم في خلافة أبي بكر، وهو منكر ومردود^(٩٣).

غزوه وسراياه

أ - الغزوات: شهد دحية مع النبي ﷺ غزواته كلها بعد بدر^(٩٤)، والأكثر: أنه شهد أحدًا فما بعدها^(٩٥)، وقيل إن أول مشاهدته الخندق^(٩٦)، ويبيع بيعة الرضوان، تحت الشجرة^(٩٧)، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٩٨)، ونال دحية ميزة بخيبر، هي: أن النبي ﷺ أعطاه جارية من سببها، سوى السهم الذي حصل عليه مع جملة فاتحي خيبر، والعطاء الزائد نفل، ونيله إياه يعني أنه حقق نفعًا للمسلمين في إطلاع

(٩١) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٤٩-٢٥٠ وابن قتيبة، المعارف، حققه ثروت عكاشة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٦، ١٩٩٢م، ص ٤٢٩ والبغوي، معجم الصحابة، دراسة وتحقيق محمد الأمين بن محمد، الكويت، مكتبة دار البيان، ط١، ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٢٩٢ وابن حجر، تهذيب التهذيب، مصدر سابق، ج٣، ص ١٧٩.

(٩٢) ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٢٣، ٤٥١ وج٥، ص ١١، ١٣، ٣٧.

(٩٣) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج١٧، ص ٢١٥ والذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٥٤.

(٩٤) النووي، تهذيب الأسماء، مصدر سابق، ج١، ١٨٤ ومحمد عبدالرؤوف المناوي، فيض القدير، تصحيح أحمد عبدالسلام، بيروت، دارالكتب العلمية، ٢٠٠١م، ج١، ص ٦٩٠.

(٩٥) ابن عبدالبر، الاستيعاب، تحقيق على محمد معوض وعادل أحمد عبدالرؤوف، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، ج٢، ص ٤٥ وابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق، ج٢، ص ٦ وابن حديد، المصباح، مصدر سابق، ج١، ص ٢١١.

(٩٦) ابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٢١.

(٩٧) الذهبي، الكاشف، ... تحقيق علي عيد عطية وموسى محمد علي الموشى، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ط١، ١٩٧٢م، ج١، ص ٢٩٣.

(٩٨) سورة الفتح، آية، ١٨.

النبي ﷺ على عورة العدو بما أدركه بنفسه أو بغيره، أو أنه قام بدعوة استجيبت، أو أنه كان من أهل الغناء في القتال (٩٩).

وتبوك التي شهدها مع رسول الله لم يكن أمره فيها كأمر باقي الصحابة الذين رجعوا منها مع النبي ﷺ، وإنما بعث منها إلى قيصر (١٠٠) الروم المرة الثانية (١٠١).
ب - السرايا: عرف خروجه إلى حِسمَى - على وزن فعلى - في جمادى الآخرة سنة ست، وهذه السرية خرجت لعقاب من اعتدوا على دحية، فإنه كان قد مر بحسمى في بلاد قبيلة جذام، التي بينها وبين رسول الله ﷺ عهد وهو يحمل هدايا قيصر، فعدا عليه الهنيد بن العويص وأبوه الضبعيان، وهما من جذام، فسلبوا كل ما كان معه، فأتى إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما حدث له، فسير زيد بن حارثة على رأس سرية من خمسمائة رجل فيها دحية، فأتت حسمى وقتلت الهنيد وابنه، وقد استرجع كل ما سلب من دحية (١٠٢).

وعرف بعث دحية ﷺ سرية وحده، في شهر ربيع الأول سنة ثمان (١٠٣).

إرساله إلى قيصر الروم

كان الوقت الذي أرسل النبي ﷺ رسله إلى الملوك قد وافق أن كان قيصر هو المنتصر على كسرى، فيكون هو الأعظم، والأقرب، لأن دار ملكه كانت حمص (١٠٤)، وكان دحية ﷺ من قبيلة كلب النازلة بأطراف الشام، مع تردده إليها لأجل التجارة بعد

(٩٩) السهيلي، الروض الأثف، مصدر سابق، ج٣، ص ٨٠ وج٤، ص ٦٠ وابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج٧، ص ٤٧٠ وعلي برهان الدين الحلبي، السيرة الطيبة، مرجع سابق، ج٢، ص ٧٤٨.

(١٠٠) قيصر، لقب لكل من ولي مملكة الروم، وقيصر المرسل إليه دحية، اسمه هرقل، ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج٦، ص ٦٢٥ وج٨، ص ١٢٧.

(١٠١) ابن حنبل، المسند، مصدر سابق، ج٥، ص ٦٠٢ وابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج١، ص ٤٣.

(١٠٢) الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٥٥-٦٦٠ والطبراني، المعجم الكبير، مصدر سابق، ج٢٠، ص ٣٤٠، والهيثمي، مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج٥، ص ٣٠٩.

(١٠٣) ابن عبد البر، التمهيد... تحقيق أسامة بن إبراهيم، القاهرة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٩م، ج١٦، ص ٢٦٤ وابن حديدة، المصباح، مصدر سابق، ج١، ص ٢١٦.

هجرته إلى المدينة^(١٠٥)، ثم كان من كبار الصحابة^(١٠٦)، وأجملهم^(١٠٧)، لأن الصورة تسبق اللسان إلى الجنان^(١٠٨)، فلهذا كله كان هو الأهل ؛ لإبلاغ رسالة رسول الله إلى قيصر الروم. وإن صح أن أحد الأنصار قد سبق دحية إلى إجابة النبي ﷺ لحمل كتابه إلى طاغية الروم (هرقل) عندما سمعه يعد من يفعل ذلك الجنة^(١٠٩). فإن ما استقر عليه الأمر، هو أن الرسول بعث إلى قيصر دحية^(١١٠)، وغيره يكون مرافقاً، سواء كان من المدينة أم من الطريق بينها وبين الشام^(١١١). لشهرة الأمر لدحية.

توجه دحية إلى قيصر الذي كان على رأس جماعة من أهل الكتاب يتبادلون ما علموه عن النبي الذي بشره عيسى ﷺ وبشرت به الرسل من قبله، وكان على دحية أن يأتي عظيم بصرى - مدينة بطرف الشام مما يلي الحجاز - الحارث بن أبي شمر الغساني ليوصله إلى قيصر الروم، فسار مع عظيم بصرى إلى قيصر، وقبل أن يوافق بالكتاب ببيت المقدس - في أثناء بقائه فيها عقب المسير الذي ساره من حمص على قدميه شكراً لله على نصرته على الفرس - كان قد نظر في النجوم ظهور ملك الختان، فأغمه ذلك، فسئل من أباطرة الروم فأخبرهم بما رأى، فسألوه أن يأمر بقتل اليهود في مملكته فيدرأ ما يخشى أن يحدث، هذا ما كان ممن عنده من الأباطرة إلا أنه لم يجبههم، ويأتي دحية وقيصر على هذا الحال فيدفع عظيم بصرى الكتاب إليه^(١١٢).

(١٠٤) ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧، ٤٣ و علي برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٨٩.

(١٠٥) ينظر، موضوع اسمه ونسبه، وموضوع إسلامه.

(١٠٦) ابن عبد البر، الاستيعاب، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٥.

(١٠٧) ينظر، موضوع، جماله ﷺ.

(١٠٨) محمود شيث خطاب، سفراء النبي ﷺ، مرجع سابق، ج٢، ص ٣١٠.

□ (١٠٩) الهيثمي، مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج٥، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(١١٠) البخاري، الصحيح، مصدر سابق، ج١، ص ٨.

(١١١) ابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج٢، ص ١٢٦.

(١١٢) عبدالرزاق، المصنف، ...، تحقيق أيمن نصر الدين الأزهرى، بيروت، دار الكتب العلمية،

ط١، ٢٠٠٠م، ج٥، ص ٢٣٣ والذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٥١

وابن كثير، تفسير القرآن، ج٣، ص ٤٢٦ وابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج١،

ص ٣٣، ص ٤١-٤٣.

فأكرم قيصر الكتاب والرسول^(١١٣)، ثم اتبع ذلك أن قام بأمر عدة ليتحقق من نبوة المبشر به محمد ﷺ وربما كان دحية الرسول في مقدمة من يتحقق من خلاهم أمر النبوة، فطول بقائه ينتظر الجواب شيء ملحوظ، بل تأخر قيصر عن قراءة الكتاب، مع احتمال أنه كان يرى دحية كثيرًا في تلك المدة وقد يكون أبدى لدحية أنه على دين لا يحسن منه النظر في غيره. فدعا ذلك دحية أن يلقي خطبة لقيصر، هي: " يا قيصر، أرسلني من هو خير منك والذي أرسله هو خير منه ومنك، فاسمع بذل ثم أجب بنصح، فإنك إن لم تدلل لم تفهم، وإن لم تنصح لم تتصف، قال هات. قال هل تعلم أكان المسيح يصلي؟ قال: نعم. قال فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له، وأدعوك إلى من دبر خلق السماوات والأرض والمسيح في بطن أمه. وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى وبشر به عيسى بن مريم بعده، وعندك من ذلك إثارة من علم تكفي عن العيان وتشفي من الخبر؛ فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة وإلا ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا. واعلم أن لك ربًا يقصم الجبابرة ويغير النعم. فأخذ قيصر الكتاب ووضعه على عينيه ورأسه وقبله، ثم قال أما والله ما تركت كتابًا إلا وقرأته، ولا عالمًا إلا وسألته فما رأيت إلا خيرًا فأمهلني حتى أنظر من كان المسيح يصلي له فإني أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غدًا ما هو أحسن منه فأرجع عنه فيضرنني ذلك ولا ينفعني، أقم حتى أنظر " (١١٤).

ويظهر تحقق علم قيصر بنبوة محمد ﷺ من إطلاعه جماعته العلمية من أهل الكتاب بما جدّ عنده من وفود دحية رسولاً من عند محمد. ومن استحضاره أبا سفيان والجماعة القرشيين الذين كانوا معه في الشام التي قدموها للتجارة وقت ما تسلم قيصر الكتاب راسمًا لهم خطة يستخرج بها الحقائق منهم عنه أمام أعين حاضري أهل الكتاب؛ وكان ذلك سنة سبع هجرية، فجعل أبا سفيان أمامه وأصحابه خلفه، وقال لهم إنه سيسأله وإنه يريدهم أن يكذبوه إن كذب. فسأل فكانت الإجابة مطابقة لما يعلمه^(١١٥).

(١١٣) ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة، دار الكتب

الحديثة، بدون، ج٢، ص ٧٢٥-٧٢٦ وابن حديدة، المصباح، مصدر سابق، ج٢، ص ٨٤.

(١١٤) المصدر السابق، ج٢، ص ٨٣-٨٤ وعبدالحى الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي، نظام

الحكومة النبوية، مرجع سابق، ج٢، ص ١٨٣.

(١١٥) ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج١، ص ٣١-٣٣، ص ٤١-٤٣.

ثم انتقل إلى الأمر بقراءة الكتاب على عظماء الروم، وهو: " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (١١٦) "، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ (١١٧). ثم نادى هرقل أولئك الأمراء - وهو في عليه له كي لا يصلوا إليه إن أرادوه - أن يجيبوا إلى ما فيه فلاحهم ورشدهم، وذلك: بأن يُبايعوا النبي الذي جاءهم كتابه فأبوا -كبراً منهم- أشد الإباء ونفروا نفرة حمرالوحش فأيس من إيمانهم، وخاف على نفسه القتل فسارع إلى طلب رجوعهم، وأظهر أنه فعل ما فعل اختبازاً لصلابتهم على دينهم، وقد رأى منهم الذي يحب فسجدوا له ورضوا عنه. فخلا بدحية وقال له: ويحك والله إني لأعلم أنه نبي مرسل ولكنني أخاف الروم على نفسي (١١٨).

وهذا إن لم تُبرهن عليه أعماله إلا أنه قد تمنى أن يصل إلى النبي ﷺ ليكون في خدمته، وأيقن بزوال ملكه عن الشام، فلقد قال لأبي سفيان: " فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه" (١١٩). يرجع دحية من عند قيصر الروم بعد ما قضى أشهراً بالشام، حرص فيها على إسلام قيصر وقد علم بقتل الروم لأكبر وأحب رجلي دين عندهم، صدقاً برسول الله ﷺ وأبلغاه إسلامهما مع دحية، أحدهما: أسقف (١٢٠) الرومان، والآخر ضباط من الأساقفة، وذكر قيصر لدحية أن ضباط أعظم عند الروم منه. يرجع مجازاً من هرقل بالهدايا والكساء مع تلفه بالجواب، إلا أن رسول الله لم يصدق ادعاءه

(١١٦) البخاري، الصحيح، مصدر سابق، ج١، ص ٨-٩.

(١١٧) سورة آل عمران، آية، ٦٤.

(١١٨) ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣، ٣٧.

(١١٩) البخاري، الصحيح، مصدر سابق، ج١، ص ٨.

(١٢٠) الأسقف، هو، عند الرومان، أعظم رجل دين، وقد كان الأسقف المذكور صاحب أمرهم في

الدين، الهيثمي، مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

الإسلام^(١٢١)، وليكن التعامل معه ومع البلاد التي تحت ملكه بناء على عدم تصديقه في ادعاء الإسلام.

وكان وصول دحية إلى المدينة في جمادى الآخرة سنة سبع بعد تعرضه بحسمى لخطر السلب الذي بلغ إلى أن يجرد مما يلبس إلا ما يستر عورته، وهكذا كان رسل النبي ﷺ عرضة للأخطار ومن بينها القتل فلقد وعدهم ﷺ الجنة على قيامهم بذلك^(١٢٢).

وأرسل النبي ﷺ دحية إلى قيصر الروم مرة ثانية^(١٢٣)؛ من تبوك، حين قد كان ﷺ بها غازيًا؛ لأنه قد ادعى أنه مؤمن برسول الله، وإنما تراجع عن إعلان ذلك خوفًا على ملكه ونفسه. وهذه المرة لن تكون كالسابقة، فهرقل الآن يستقبل كتاب من يدعي أنه مؤمن به ولا يقدر أن يصل إليه، وإلا فهو ما يتمناه، ويدعي أنه يخفي إيمانه دفعًا للموت بأيدي عظماء الرومان. وحامل الكتاب دحية المعروف لديه زاده إكرامًا^(١٢٤).

وهذه المرة الثانية التي ثبت فيها أن دحية كان رسولاً، أما ما ذكر ابن سعد من أن النبي ﷺ بعثه بكتاب إلى ضغاطر رجل الدين عند الروم^(١٢٥)، والذي سبق ذكر قتلهم له فلم يُشهد تأكيده من الآخرين. بل الذي عند غيره، أن هرقل قال لدحية: " اذهب إلى ضغاطر الأسقف فاذكر له أمر صاحبكم، وانظر ماذا يقول. فجاء دحية وأخبره مما جاء به من رسول الله إلى هرقل وبما يدعو إليه، فقال ضغاطر صاحبك والله نبي مرسل نعرفه بصفته، ونجده في كتابنا باسمه، ثم دخل فألقى ثيابًا كانت عليه سوداء ولبس ثيابًا بيضاء، ثم أخذ عصاه وخرج على الروم وهم في الكنيسة. فقال للروم إنه قد أتانا كتاب من أحمد يدعو فيه إلى الله، وإني أشهد ألا إله إلا الله وأن

(١٢١) ابن حبان، الثقات، مصدر سابق، ج١، ص ١١٦ وابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧، ٤٢، ٤٣ ومحمد عبد الباقي الزرقاني، شرح على المواهب، مرجع سابق، ج٢، ص ١٥٩.

(١٢٢) الطبراني، المعجم الكبير، مصدر سابق، ج١٢، ص ٤٤٢ ومحمد عبد الباقي الزرقاني، شرح على المواهب، مصدر سابق، ج٢، ص ١٥٨-١٥٩.

(١٢٣) ابن حنبل، المسند، مصدر سابق، ج٥، ص ٣١٦، ٦٠٢.

□ (١٢٤) المصدر السابق، ج٥، ص ٦٠٢.

(١٢٥) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج١، ص ٢٧٦.

محمد عبده ورسوله، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وضربوه حتى قتلوه، فرجع دحية إلى هرقل وأخبره الخبر، قال قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان والله أعظم عندهم وأجوز قولاً منى " (١٢٦).

مصاهرته النبي ﷺ وبني عمه

تزوج النبي ﷺ شراف بنت خليفة الكلبية - أخت دحية - وهي بالشام بعد موت ابنة أختها خولة بنت الهذيل بن هبيرة بن قبيصة بن الحارث بن حبيب بن حرفة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب التي ماتت في طريقها من الشام قبل أن تصل إلى زوجها رسول الله ﷺ .

كذلك ماتت شراف وهي سائرة من الشام إلى النبي ﷺ فكانت ممن لم يدخل بهن من الأزواج (١٢٧).

وصهر دحية لبني عم رسول الله ﷺ أنه تزوج درة بنت أبي لهب بالمدينة، كانت من المهاجرات، ولها منزلتها عند النبي ﷺ، لأنها كانت قد رفعت إليه أمرين أماها:

أحدهما، تعييرها بأبيها أبي لهب، فأجلسها عنده وحانت صلاة الظهر فصلاها، وجلس على المنبر ساعة ثم خطبهم معاتباً لهم عن ذلك الصنيع الذي يؤذي أهله، فإن أذاهم هو أذى له.

وثانيهما، ما سمعت من غمز المنافقين للنبي ﷺ بأنه مقطوع الذرية (١٢٨).

خروجه في الفتوح

شهد دحية ﷺ فتوح الشام الأولى ؛ لأنه كان في موقعة اليرموك وقد قيل إنها كانت في عهد الصديق، شهدها رئيساً على كردوس والكردوس، ألف، وشهوده ما بعدها وارد ؛ لأنه قد استقر به المقام بعد ذلك بالمزة من بلاد الشام ؛ ومعركة اليرموك

(١٢٦) ابن حبان، الثقات، مصدر سابق، ج١، ص ١١٦ وابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق،

ج٢، ص ٤٣٧ وابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج١، ص ٤٣.

(١٢٧) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٨، ص ١٦٠ وابن عبد البر، الاستيعاب، مصدر سابق،

ج٤، ص ٤٢٣ وابن كثير، البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه أحمد أبو ملح، القاهرة، دار

الريان للتراث، ط١، ١٩٨٨م، ج٥، ص ٢٥٨.

(١٢٨) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٨، ص ٥٠ وابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج٨،

ص ١٢٧-١٢٨.

عظيمة الذكر ؛ لأن الله نصر المسلمين فيها وهم ستة وثلاثون ألفاً، على الروم وهم مائتان وأربعون ألفاً^(١٢٩). فمن عُدَّ من شاهديها نال ذكرها، ودحية من أهل زيادة الذكر فيها لأنه كان رئيساً فيها.

وقد عُدَّ فيمن دخل مصر من الصحابة ﷺ وقد يكون أول ما نزلها فاتحاً^(١٣٠).

وفاته ﷺ

عاش عهد الخلفاء الراشدين، فعهد معاوية، وكان دحية قد سكن المزة، قرب دمشق، ورووا : " أن دحية بن خليفة خرج من قرية من دمشق مرة إلى قدر^(١٣١) قرية عَقَبَة من الفسطاط، وذلك ثلاثة أميال، في رمضان، ثم إنه أفطر، وأفطر معه ناس، وكره آخرون أن يفطروا، فلما رجع إلى قريته قال: والله لقد رأيت اليوم أمراً ما كنت أظن أني أراه، أن قومًا رغبوا عن هدي رسول الله ﷺ وأصحابه، يقول ذلك للذين صاموا، ثم قال عند ذلك اللهم اقبضني إليك"^(١٣٢).

وفي قصة دحية هذه إنكار شديد على من لا يريد هدي النبي ﷺ وأصحابه، حتى بلغ به أن يسأل الله أن يتوفاه. وتوفي بالمزة التي كان يسكنها من بلاد الشام، في خلافة معاوية رضي الله عنهما^(١٣٣). وذكر أنه إنما سكن بعد المدينة مصر^(١٣٤).

عبدالله بن حذافة السهمي

اسمه ونسبه

أبو حذافة، عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي^(١٣٥). وقيس جده كان سيد قريش في زمانه^(١٣٦).

(١٢٩) الطبري، تاريخ الأمم، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٩٤ - ٤٠٠.

(١٣٠) السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٥٦.

(١٣١) قدر، مقدار، محمد شمس الحق العظيم أبادي، عون المعبود، مرجع سابق، ج٧، ص ٤١.

(١٣٢) أبو داود، السنن، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٥٥ - ٥٥٦.

(١٣٣) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٥١ وابن حبان، الثقات، مصدر سابق، ج١،

ص ٣٠٨ وابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٢٣.

(١٣٤) مسلم، الطبقات، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٧، ١٩٨.

وأمة تميمية بنت حريثان، يظهر أنها صحابية ؛ لأنه لما قال عبدالله بن حذافة من أبي يا رسول الله، " قال أبوك حذافة بن قيس، فرجع إلى أمه. فقالت ويحك ما حملك على الذي صنعت فقد كنا أهل جاهلية وأهل أعمال قبيحة فقال لها إن كنت لأحب أن أعلم من أبي كان من الناس " (١٣٧)، فُلَعَةُ: كنا أهل جاهلية. تفيد إسلامها. **إسلامه**

أسلم قديماً (١٣٨)، وهذا أطلق على جماعة، كسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد وعمار بن ياسر - أنهم أسلموا قديماً - وتحقق أن إسلامهم كان قبل دخول دار الأرقم، وفي دار الأرقم (١٣٩). وقد يكون عبدالله مثلهم. وهو من السابقين الأولين، ومن أصحاب الهجرتين، الحبشة والمدينة (١٤٠).

غزوه

قيل: إن عبدالله قدم من الحبشة بعد بدر (١٤١)، فلم يشهدا وما قبلها من غزوات رسول الله. وروي ما يخالف ذلك، وهو أن عبدالله شهدا (١٤٢)، و نفى بعضهم صحتها، بناء على عدم ذكر اسمه في قوائم شاهدها عند أصحاب المغازي والسير (١٤٣)، التي وجد فيها اسم أخيه خنيس دون اسمه.

(١٣٥) **الذهبي**، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٢، ص ١١ وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص ١٦٣، ١٦٥.

(١٣٦) **ابن عساکر**، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٧، ص ٣٤٨.

(١٣٧) **ابن حنبل**، المسند، مصدر سابق، ج٣، ص ٥٧١.

(١٣٨) **البغوي**، معجم الصحابة، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٩٢.

(١٣٩) **ابن سعد**، الطبقات، مصدر سابق، ج٣، ص ١٣٩، ص ٢٤٧، ص ٣٨٢ وابن الجوزي، صفوة الصفوة، مصدر سابق، ج١، ص ٣٥٦، ص ٣٦٢، ص ٤٤٢.

(١٤٠) **ابن هشام**، السيرة، مصدر سابق، ج١، ص ٣٤٤، ص ٣٥١ وابن عبد البر، الاستيعاب، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤.

(١٤١) **ابن هشام**، السيرة، مصدر سابق، ج٤، ص ٦-٨.

(١٤٢) **أبو نعيم**، معرفة الصحابة، مصدر سابق، ج٣، ص ١٦١٥ و**الذهبي**، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٢، ص ١٢.

(١٤٣) **الواقدي**، المغازي، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٦ و**ابن هشام**، السيرة، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٤١ و**ابن كثير**، البداية، مصدر سابق، ج٣، ص ٣١٨، ٣٢١.

إرساله إلى كسرى

لقد سبقت الإشارة - في التمهيد - إلى شيء من صفات الرسل، وعبدالله بن حذافة أرسله الرسول إلى كسرى (أبرويز)، وقد قرن بعضهم ذكر إرسال عبدالله إلى كسرى بأنه كان يتردد إلى مملكته^(١٤٤)، فسار بعد الحديبية، في المحرم سنة سبع بكتاب النبي ﷺ إلى عظيم البحرين، وبه يتوصل إلى كسرى الفرس ثم إن عبد الله دفع الكتاب لكسرى مختوما، فيه^(١٤٥): " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بداعية الله فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فإن عليك إثم المجوس " ^(١٤٦).

فاستكبر ومزق كتاب النبي ﷺ، فدعا عليه أن يمزق الله ملكه^(١٤٧)، فلم تقم لكسروية المجوس بعدها قائمة.

ويكون عبدالله في مقام مخيف، لكن بعضهم ذكر له موقفاً في ذلك المقام لا خوف فيه، بل تعجب من حالهم وصرح بتعجه للفرس بين يدي كسرى، فقال: " يا معشر الفرس، إنكم عشتم بأحلامكم لعدة أيامكم بغير نبي، ولا كتاب؛ ولا تملك - خطاب للملك - من الأرض إلا ما في يديك، وما لا تملك منها أكثر، وقد ملك - الأرض - قبلك ملوك أهل دنيا وأهل آخرة، فأخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا، وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة، فاختلفوا في سعي الدنيا، واستتوا في عدل الآخرة، ولقد صغر هذا الأمر عندك أنا أتيناك به، وقد والله جاءك من حيث خفت، وما تصغيرك

^(١٤٤) السهيلي، الروض الأنف، مصدر سابق، ج٤، ص ٦٨ وابن حديدة، المصباح، مصدر

سابق، ج٢، ص ١٥٣ وعلي برهان الحلبي، السيرة الحلبية، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٩١.

^(١٤٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج٢٧، ص ٣٥٧.

^(١٤٦) الزيلعي، نصب الراية تخريج أحاديث الهداية، تحقيق أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب

العلمية، ط١، ١٩٩٦م، ج٥، ص ٢٩٦.

^(١٤٧) ابن حنبل، المسند، مصدر سابق، ج١، ص ٦٥٤ والبحاري، الصحيح، مصدر سابق، ج١،

ص ٣٦.

إياه بالذي يدفعه عنك، ولا تكذيبك به بالذي يخرجك منه، وفي وقعة ذي قار^(١٤٨) على ذلك دليل " (١٤٩).

والمعروف أن عبداً خرج وقت غضب كسرى، وأنه طلبه بعد خروجه بالمدائن فلم يلحقه، ثم طلبه في الحيرة فلم يلحقه أيضاً، فكان أن كتب إلى باذان بأن يأتيه بالنبي ﷺ. وأما ما ورد من أن كسرى لما مزق الكتاب ندم، فقال: "لا بد أن أهدي له هدية قال فكلمه عبداً بن حذافة كلاماً شديداً قال فأدرج له شقفاً من ديباج وحرير فأهداها لرسول الله ﷺ " (١٥٠). فمخالف للمعروف.

ولعبداً شعر^(١٥١) في كسرى ربما قاله بعد قدومه المدينة، ودعاء رسول الله ﷺ على كسرى، أن يمزق الله ملكه فلم يبق للأكاسرة ملك^(١٥٢).

وصاحب الموقف المذكور هو أبرويز بن هرمز الذي لم يطل أمره في الملك بعد ذلك الموقف القبيح من كتاب النبي ﷺ ورسوله ابن حذافة. إذ قتله ابنه شيرويه ومَلَكَ بعده، وقد روى البيهقي بعث شجاع بن وهب الأسدي إلى كسرى دون ذكر اسمه، وساق ابن كثير الرواية نفسها^(١٥٣)، فإن يصح ذلك فهو لملك بعد أبرويز، أو أنه صحب ابن حذافة؛ لأن ابن كثير أعقبها عن ابن إسحاق والواقدي والطبري؛ بما

^(١٤٨) ذي قار، يوم لبني شيبان، في عهد أبرويز، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم،

ابن حديدة، المصباح، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٥٢-١٥٣.

^(١٤٩) السهيلي، الروض الأنف، مصدر سابق، ج ٤، ص ٦٧-٦٨.

^(١٥٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، بيروت، دارالكتب العلمية، بدون، ج ١، ص ١٣٢.

^(١٥١) منه، أبي الله إلا أن كسرى فريسة لأول داع بالعراق محمداً

تقاذف في فحش الجواب مصغراً لأمر العريب الخائضين له الردى

فقلت له أروء فإنك داخل من اليوم في البلوى ومنتهب غدا

فأقبل وأدبر حيث شئت فإننا لنا الملك فابسط للمسالمة اليدا

وإلا فأمسك قارعا سن نادم أقر بذل الخرج أو مت موحداً

سفهت بتمزيق الكتاب وهذه بتمزيق ملك الفرس يكفي مبدداً، السهيلي، الروض الأنف،

مصدر سابق، ج ٤، ص ٦٨.

^(١٥٢) البيهقي، السنن الكبرى، مصدر سابق، ج ٩، ص ١٨١.

^(١٥٣) دلائل النبوية، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٨٨ والنبوية، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٦٨.

لا يخالف كل ما سيق، من إرسال ابن حذافة إلى كسرى^(١٥٤). وعند كثير غيرهم الإرسال إلى كسرى الفرس ما هو إلا مرة واحدة^(١٥٥).

بعث عبدالله ودعابته

أ - **خروجه مع خالد إلى بني جُدَيْمَةَ**: كان بنو جذيمة الكنانيين بُعِدَ الفتح في شوال سنة ثمان هجرية قرب يلملم - ميفات أهل اليمن - فسير النبي ﷺ خالداً إلى تلك الناحية داعياً لا مقاتلاً، إلا من قاتله، فقتل ناساً من بني جُدَيْمَةَ مسلمين خطأ^(١٥٦). وذكّر عن بعض من يعذرون خالدًا، أنه قال: " ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبدالله بن حذافة السهمي وقال: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام " ^(١٥٧).

ب - **سرية علقمة بن مجزز المدلجي**: بلغ النبي ﷺ أن ناساً من الحبشة رأهم أهل الشعبية^(١٥٨) في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة فبعث عبدالله بن حذافة في سرية إليها فولجت البحر ثم فرّ أولئك، ولم يلق المسلمون كيداً، وفي الرجوع أوقدت نار يصطلون عليها، ويصنعون ما يطعمون^(١٥٩). " ثم قال - عبدالله - للقوم أليس لي عليكم السمع والطاعة - قالوا بلى - قال أفما أنا أمركم بشيء إلا فعلتموه قالوا نعم. قال فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا توائبتم في هذه النار. قال فقام بعض القوم يحتجز - يتهبأ لاقتحام النار - حتى ظن أنهم واثبون فيها، فقال لهم اجلسوا فإنما كنت أضحك معكم. فذكّر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه. فقال

^(١٥٤) البداية، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٦٨-٢٦٩.

^(١٥٥) السيرة النبوية، مصدر سابق، ج٤، ص ٢٥٤ وابن سيد الناس، عيون الأثر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٣، ١٩٨٢م، ج٢، ص ٣٣٠ وابن حديدة، المصباح، مصدر سابق، ج١، ص ٢١٥.

^(١٥٦) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٢، ص ١٤٧ ومحمد عبد الباقي الزرقاني، شرح على المواهب، مرجع سابق، ج٣، ص ٢.

^(١٥٧) ابن هشام، السيرة، مصدر سابق، ج٤، ص ٧٣ والطبري، تاريخ الأمم، مصدر سابق، ج٢، ص ٦٨.

^(١٥٨) الشعبية، كانت ميناء مكة على طريق الليث اليمن وتبعد عن مكة بـ (١٣٠ ك)، فاضل عبدالله رضوان، بعث النبي ﷺ السرايا إلى الأشخاص، ص ١٤٦.

^(١٥٩) الواقدي، المغازي، مصدر سابق، ج٣، ص ٩٨٣.

رسول الله ﷺ من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه " (١٦٠). فأُنزل الله في قصته ﷺ:
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن نَّزَعْنَمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
 وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥١) (١٦١). قال ابن
 عباس: " نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه رسول ﷺ في سرية " (١٦٢).

دعابته: ودعابة عبدالله في هذه السرية أنه كان مازحًا فيما طلب منها. ويروى أنه: " كان قد شكى إلى رسول الله ﷺ أنه صاحب مزاح وباطل، فأمرهم أن يتركوه، فإن له بطانة (سريرة) تحب الله ورسوله " (١٦٣).

ولأن هذا شأنه بالدعابة فقد نسب إليه ما يبعد أنه كان منه. ف: " ذكر الزبير - لعله ابن بكار - قال حدثنا عبدالجبار بن سعد عن عبدالله بن وهب عن الليث عن سعد قال بلغني أنه حل حزام راحلة رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى كاد رسول الله ﷺ يقع قال ابن وهب فقلت لليث ليضحكه قال نعم كانت فيه دعابة" (١٦٤).

تقريب رسول الله ﷺ له: إذ يروى أنه كان يُرحل ناقه رسول الله ﷺ في بعض أسفاره. وأن رسول الله ﷺ أمر عبدالله بن حذافة السهمي أن يركب راحلته أيام منى فينادي في الناس لا يصومن أحد فإنها أيام أكل وشرب. قال فلقد رأيت على راحلته (راحلة رسول ﷺ) ينادي بذلك (١٦٥). فقد روي بسند فيه الواقدي (١٦٦) عن عبدالله بن

(١٦٠) ابن هشام، السيرة، مصدر سابق، ج٤، ص٢٨٩.

(١٦١) سورة النساء، آية، ٥٩.

(١٦٢) البخاري، الصحيح، مصدر سابق، ج٤، ص١٦٧٤.

(١٦٣) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج٢٧، ص٣٥٩، ٣٦٠.

(١٦٤) الحاكم، المستدرک، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م، ج٣، ص٧٣١ وابن عبدالبر، الاستيعاب، مصدر سابق، ج٣، ص٢٥ وابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، صدر سابق، ج٢٧، ص٣٤٨ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سالم مصطفى البدری، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م، بيروت، ج٥، ص١٦٨.

(١٦٥) ابن حنبل، المسند، مصدر سابق، ج٨، ص٢٢١ والبيهقي، السنن، مصدر سابق، ج٢، ص١٦٧.

حذافة أنه : " يقول: ثم بعثني رسول الله ﷺ على راحلته أيام منى أنادي أيها الناس إنها أيام أكل وشرب وبعال (مواقعة النساء) " (١٦٧). وإركابه تقريب لعبدالله ؛ لأنه واحد من خمسة - على ما يظهر - ارتحلوا رُكوب النبي ﷺ، وهم: علي والعباس وزيد بن حارثة وبديل (١٦٨) بن ورقاء، وعبدالله بن حذافة (١٦٩). وهم قلة نالوا ذلك، والثلاثة الأول قرابته ﷺ ؛ لأن زيدا مولاه وحبه، والأخيران كان ارتحالهما لحظوة عنده ﷺ .

خروجه ﷺ فاتحاً

شهد عبدالله بن حذافة الفتوح أيام أبي بكر وعمر، وقصته في أيامه مشهوره، إذ أصيب - بقيسارية وهو يقاتل الروم، سنة تسع عشرة في خلافة عمر رضي الله عنهما - فأغمي عليه فلم يُفق إلا وهو بأيدي الروم أسيراً (١٧٠). ويظهر أن ملك الروم عرف أنه أسر رجلاً من أصحاب محمد رسول الله ﷺ وقريباً من خليفة المسلمين عمر، فبعده الله قرشي، وهم قوم الخليفة، بل أكثر من ذلك أن أخاه خنيس بن حذافة الذي مات من جراحة أصابته بأحد كان صهر عمر (١٧١). يؤكد هذا أن الملك تولى الأمور التي قدر أنها تفتن عبدالله بنفسه، منها:

(١٦٦) الواقدي، هو، محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، المدني القاضي، نزيل بغداد، متروك مع سعة علمه، ت ٢٠٧هـ، ابن حجر، تقريب التهذيب، دراسة محمد عوامة، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٩٩٢م، ص ٤٩٨.

(١٦٧) الدارقطني، السنن، حققه عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٢، ص ٤٤٢.

(١٦٨) بُدِيل، هو، ابن ورقاء الخزاعي أحد سادة مكة بالحلف، وأصله من قبيلة خزاعة التي كانت مخالفة لعبدالمطلب، ثم إنهم حالفوا النبي ﷺ، وبديل وإن كان قد تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح إلا أن هواه كان مع محمد ﷺ أيام شركه، فكان من كبار القوم، محمد عبد الباقي الزرقاني، شرح على المواهب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٨٨-٢٩٢.

(١٦٩) ابن أبي شيبة، المصنف، ضبط وترقيم محمد عبدالسلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٥م، ج ٣، ص ٣٧٤ و ٧، ص ٣٥٨، ٤٠٢ والدارقطني، السنن، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٤٢ والحاكم، المستدرک، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٤.

(١٧٠) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ٢٧، ص ٣٥٢، ٣٦٠ والذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٢.

(١٧١) ابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢٤.

- أنه أبقاه أياماً لا يقدم له إلا لحم الخنزير والخمر، فلم يذقها، وخشوا أن يموت، فقدموا له الطعام، فقال للملك: " أما إن الله عز وجل قد كان أحله لي - أي عند الاضطرار - ولكن لم أكن لأشمتك بالإسلام " (١٧٢).

- أنه سلك به طريق الإغراء، وهو: أنه عرض عليه أن يقربه من الحكم، مقابل تنصره. فقال له عبدالله: " لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب، وفي رواية القطان وجميع مملكة العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت " (١٧٣).

- إنه هدده بالقتل إن لم يتنصر، فرد عليه، أنت وذاك، فأتي بأسير مسلم أو أكثر فصلب ورمي حتى مات، فأعاد طلب التنصر فلم يفعل، فأمر بصلبه فصلب، على أنه سيفعل به كما فعل بسابقه، وأسر إليهم أن يخوفوه بالرمي ولا يقتلوه، فكانت النبال تقع قريباً منه، وكان الملك يدعو إلى التنصر فلم يتغير من حاله شيء، فأمرهم بإنزاله ثم إذا بقدر من نحاس قد صار كالجمر من الإيقاد تحته، فملىء زيناً وأتى بأسيرٍ - من إخوانه - مكتفاً فعرض عليه أن يتنصر فأبى فألقي بالمكرة في ذلك القدر، فلاحت لعبد الله بياض عظام أخيه فور إلقائه، فعرض الملك عليه أن يتنصر فإذا هو على ما هو عليه (١٧٤).

ولما أيس الملك منه أمر أن يكتف ويلقى في ذلك القدر، فساقوه ليلقى، فبكى، فأخبروا الملك بذلك، فردد عليه، فسأله عن بكائه قال له: " لا ترى إني بكيت جزعا مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيت حين لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله كنت أحب أن تكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيّ ثم تسلط علي فتفعل بي هذا. قال فأعجب منه وأحب أن يطلقه فقال قبل رأسي وأطلقك، قال ما أفعل قال تنصر وأزوجك ابنتي وأقاسمك ملكي، قال ما أفعل قال قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين. قال أما هذه فنعم. قال فقبل رأسه وأطلق معه ثمانين من المسلمين فلما قدموا على عمر بن الخطاب قام إليه عمر فقبل رأسه " (١٧٥)، وقال: " حق على كل

(١٧٢) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ٢٧، ص ٣٦٠ وابن كثير، تفسير القرآن، مصدر سابق، ج ٢ ص ٥٨٨.

(١٧٣) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ٢٧، ص ٣٥٨.

(١٧٤) المصدر السابق، ج ٢٧، ص ٣٥٩ وابن كثير، تفسير القرآن، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٨٨.

(١٧٥) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ٢٧، ص ٣٥٩.

مسلم أن يقبل رأسك " (١٧٦)، وإذن فملك الروم أطلق عبدالله والثمانين أسيراً إعجاباً بثباته. وليس لكتاب الخليفة عمر فيه (١٧٧).

وعن الابتلاء الذي كان عاقبته النجاة والإكرام، قال الزهري (١٧٨): " ما اختبر من رجل من المسلمين ما اختبر من عبدالله بن حذافة السهمي " (١٧٩).

هذا الصنيع من ملك الروم عرف علقته عبدالله بن حذافة، وهو: أنه أراد أن يشمت بالإسلام، فجعل الله ثبات عبدالله حائلاً بينه وبين تحقيق مراده.

وإذا كان عبدالله في سنة تسع عشرة قد لاقى الابتلاء المشهور فإن السنة التالية لها كان فتح مصر (١٨٠). وكان عبد الله من فاتحها (١٨١).

وفاته ﷺ

توفي عبدالله بمصر، في خلافة عثمان، ولا تُعرف السنة التي توفي فيها (١٨٢). والاحتمال أن الوفاة أتته بمصر في قدمة قدمها إليها، إذ يذكر أنه كان صاحب دار فيها (١٨٣)، لكنها ليست مكان سكنه الدائم لأنه معدود فيمن لزم المدينة - من الصحابة - بعد رسول الله ﷺ (١٨٤).

-
- (١٧٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، (عهد الراشدين)، ص ٣٤٤.
- (١٧٧) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٩٠ وابن حبان، الثقات، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٦٠.
- (١٧٨) الزهري، هو، الإمام محمد بن مسلم بن شهاب من بني زهرة أحوال النبي ﷺ، توفي سنة ١٢٤ هـ، خليفة، الطبقات، حققه سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة، ١٩٩٣م، ص ٤٥٤.
- (١٧٩) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ٢٧، ص ٣٥٩.
- (١٨٠) الذهبي، العبر حققه أبو هاجر محمد السعيد بن زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٨.
- (١٨١) البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، بدون، ص ٢١٥ وابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ٥١.
- (١٨٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٦ وابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج ٤، ص ٥٢.
- (١٨٣) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ٢٧، ص ٣٥٢.
- (١٨٤) مسلم، الطبقات، مصدر سابق، ج ١، ص ١٤١، ١٥٠، ١٩٧.

حاطب بن أبي بلتعة^(١٨٥)

اسمه ونسبه و ميلاده ﷺ

كنيته أبو محمد، وهو: حاطب، بن عمرو (أبي بلتعة) بن عمير بن سلمه^(١٨٦) بن صعب بن سهل^(١٨٧) بن العتيك بن سَعَاد بن راشد (خالفه) بن جزيلة بن لخم بن عدي^(١٨٨) بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(١٨٩).

والجزم بأن اسم أبي بلتعة: عمرو بن عمير^(١٩٠) - كما سقناه في نسب حاطب - هو ما وجدناه. إلا أننا نشير إلى ما قيل في اسمه من أنه راشد بن معاذ، مع خلاف غيره في سلسلة نسب حاطب^(١٩١). وقوم حاطب كانوا معروفين ببني خالفة، فوفدوا على النبي ﷺ، فقال: من أنتم؟ قالوا: بنو خالفة، فقال: أنتم بنو راشد^(١٩٢). وحاطب مكي^(١٩٣) لخمى^(١٩٤) أسدي قرشي بالحلف^(١٩٥)، وتتبع نسبه ببعده ما قيل فيه من أنه من بني النمر من الأزدي، أو أنه مذحجي، لأن من جاء عندهم قول

^(١٨٥) بلتعة، المتبلع، الذي يتظرف ويتكيس، وقيل، هو، الذي يتبلع في كلامه، أى يتحذلق

ويتظرف وليس بشئ، ابن حديدة، المصباح، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٢.

^(١٨٦) أبو نعيم، معرفة الصحابة، مصدر سابق، ج٢، ص ٦٩٥.

^(١٨٧) ابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج٢، ص ٤.

^(١٨٨) ابن ماكولا، الإكمال، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٠٦.

^(١٨٩) أبو عبيد، النسب، مصدر سابق، ص ٣٠٤، ٣٠٥، وابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٣،

ص ١١٤، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص ٣٣٩، ٣٩٧ وابن الأثير،

أسد الغابة، مصدر سابق، ج١، ص ٤٣١، ٤٣٢.

^(١٩٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، (الخلفاء الراشدين)، ص ٣٣٤.

^(١٩١) الصفدي، الوافي بالوفيات، الجزء ١١، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار

إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٩، وابن حديدة، المصباح، مصدر سابق، ج١،

ص ٢٠٣.

^(١٩٢) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٣، ص ١١٤.

^(١٩٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٣.

^(١٩٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص ٣٧٤، وابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق، ج١،

ص ٤٣١، وابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج٢، ص ٤.

□ ^(١٩٥) ابن حديدة، المصباح، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٣.

أنه من بني النمر، أو أنه مذحجي وافقوا غيرهم بأنه لخمى فيما قدم عندهم من نسبه^(١٩٦).

وحاطب سيد يماني مكي قرشي فهو من قبيلة لخم اليمنية، ومن بني لخم آل النعمان، ملوك الحيرة^(١٩٧)، ولم يُعثر على إيضاح نسبته لمكة، أهو نازلها أم أنه مولود بها، وقد قيل: إنه كان مملوكا لعبيدالله^(١٩٨) بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فكاتبه فأدى كتابه يوم الفتح^(١٩٩)، هذا ما قيل، والأكثر أنه كان حليفاً لبني أسد بن عبد العزى^(٢٠٠)، وحلفه لهؤلاء قد يكون هو أصل حلفه قريشا، وكان ذا مال وأهل بمكة، وعرف أنه أعتق مولى له مشهورا^(٢٠١) قبل الهجرة النبوية^(٢٠٢)، وقال حاطب في اعتذاره لرسول الله ﷺ عن كتابته لقريش: "إني كنت امرأةً ملصقا في قريش"^(٢٠٣)، وقد فسره بقوله: "كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها"^(٢٠٤). هذا المروى عن حاطب في الصحيحين وليس فيه ذكر للرق.

وميلاد حاطب ﷺ سنة خمس وثلاثين قبل الهجرة النبوية^(٢٠٥).

إسلامه ﷺ وهجرته

عرف أن حاطباً كان من مشاهير المهاجرين - رضوان الله عليهم^(٢٠٦) -، وهاجر مصاحباً الزبير بن العوام^(٢٠٧)، والزبير قدم المدينة قبل رسول الله ﷺ^(٢٠٨).

^(١٩٦) ابن قتيبة، المعارف، مصدر سابق، ص ٣١٧ - ٣١٨، وابن حديدة، المصباح، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠٢.

^(١٩٧) أبو عبيد، النسب، مصدر سابق، ص ٣١٣.

^(١٩٨) عبيدالله، يذكر أن عبيدالله هذا قتله يوم بدر على بن أبي طالب ﷺ، ابن قتيبة، المعارف، مصدر سابق، ص ٣١٨.

^(١٩٩) ابن عبد البر، الاستيعاب، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٧٤.

^(٢٠٠) المصدر السابق، والصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج ١١، ص ٢١٠.

^(٢٠١) المولى، هو، سعد بن خولي بن سبرة، ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج ٣، ص ١١٥.

^(٢٠٢) المصدر السابق، والبلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص ٢٠٢.

^(٢٠٣) البخاري، الصحيح، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٥٥٧، ومسلم، الصحيح، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٩٤١.

^(٢٠٤) ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج ٧، ص ٥٢١.

^(٢٠٥) بناء على ما سوف يعرف من سنة الوفاة وتحديد العمر.

^(٢٠٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٣.

فيكون قديم الإسلام. وقد آخى النبي ﷺ بين حاطب وعويم بن ساعدة بن عائش، أخي بني عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي (٢٠٩).

غزو حاطب ﷺ

غزا مع رسول الله ﷺ غزواته كلها (٢١٠) قبل بدر وبعدها. وشهوده بدرًا أمر متفق عليه (٢١١). ويُنسب لحاطب قصة قتل عتبة بن أبي وقاص - أخي سعد بن أبي وقاص - الذي أدمى النبي ﷺ يوم أحد، فأرضاه بذلك ونال منه الدعوة (٢١٢).

إرساله إلى المقوقس

يحظى حاطب بعد شهوده بيعة الرضوان تحت الشجرة، بأن يكون أحد مبعوثي رسول الله ﷺ إلى ملوك الأرض؛ لأنه يُروى أن الرسول ﷺ خطب بين يدي بعثه الرسل خطبة حدث فيها عن قصة حوار عيسى عليه السلام حينما طلب منهم حمل كتبه إلى ملوك الأرض فتناقل بعضهم فجرت المعجزة المزيلة للأعدار والمنذرة بالعقوبة، إذ أصبح رسل عيسى المنتقلين الذين شكاهم إلى الله يتكلمون لغة من أرسلوا إليهم، فما كان من الصحابة إلا المبادرة لأن يحملوا كتبه إلى حيث يشاء، وإن بعد السفر وحُفَّت الطريق بالمخاطر (٢١٣)، فاختر منهم عددًا كان حاطب ﷺ من المختارين.

(٢٠٧) البلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص ٢٠٢.

(٢٠٨) ابن حجر، فتح الباري، مصدر سابق، ج ٧، ص ٢٣٩، ٢٤٣، ومهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(٢٠٩) ابن هشام، السيرة، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٥٢ وابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢١٩، ٦٢٠.

(٢١٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٠٣، والصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج ١١، ص ٢١٠.

(٢١١) أحمد محمد العليمي باوزير، مرويات غزوة بدر، جمع ودراسة وتحقيق، المدينة المنورة، مكتبة طيبة، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٣٧٥.

(٢١٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٣، ٤٤.

(٢١٣) ابن هشام، السيرة، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٥٤، ومسلم، الصحيح، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٩٤٢ وابن حديدة، المصباح، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠٧ - ١٠٨.

وأخذ حاطب كتاب رسول ﷺ للمقوقس - لقب حاكم مصر - الذي يدعوه فيه إلى الإسلام في ذي الحجة سنة ست (٢١٤)، وقيل الأثبت سنة سبع (٢١٥). فودع حاطب الرسول ﷺ وشد رحله وانطلق إلى مصر، فكان طريقه محفوظاً بالخطر. قيل: إنه عرض له ثلاثة رجال، فتتكر لهم من أنه مسلم، فعلم منهم أنهم سائرون إلى المدينة لغرض اغتيال محمد - ﷺ - إن وانتهم الفرصة، فما كان إلا أن احتال على التخلص منهم ومضى في طريقه إلى مصر فلما رآه القبط أخبرهم أنه رسول، فأتوا به المقوقس بقصر الشمع (٢١٦)، فسلم الكتاب للمقوقس الذي قبله، وأكرم حاطباً وأحسن نزله (٢١٧). ثم إن المقوقس أحضر حاطباً إليه بعد ما جمع بطارفته (٢١٨)، فتظاهر باستبعاد نبوة محمد ﷺ في أسئلة سألها حاطباً، منها:

ما منعه أن يدعو على قومه إذ أخرجوه وحاربوه فيهلكهم الله.

فكان رد حاطب عليه في عدة أسئلة منها:

أعيسى نبي؟ فرد بالإيجاب، فسأله وما منعه أن يدعو على قومه إذ كان منهم ما كان، فأعجب المقوقس برد حاطب (٢١٩)، وقال: " أنت حكيم جاء من عند حكيم" (٢٢٠). ولما وجد حاطب أن المقوقس قد ظهر أمام بطارفته بمظهر المرتاب بنبوة محمد ﷺ طالبه بالاعتبار بهلاك فرعون ودعاه للإسلام مدلياً بحججه إليه، وهي: أنه إنما يدعى للإسلام دين الله ولا دين مع الإسلام يكون ديناً لله، وأن المسيح أوصى أتباعه بالإيمان بمحمد ﷺ واتباعه (٢٢١).

(٢١٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧٦ وابن الجوزي، المنتظم، مصدر

سابق، ج٣، ص ٢٧٤ وابن كثير، البداية، مصدر سابق، ج٤، ص ١٨٢.

(٢١٥) البلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص ٤٣١.

□ (٢١٦) المصدر السابق، ص ١٢٤-١٣٠.

(٢١٧) البيهقي، دلائل النبوة، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٩٥.

(٢١٨) بطارفته، عظماء رجاله، ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج١٠، ص ٢١.

(٢١٩) أبو نعيم، معرفة الصحابة، مصدر سابق، ج٢، ص ٦٩٦ والبيهقي، دلائل النبوة، مصدر

سابق، ج٤، ص ٣٩٦.

(٢٢٠) المصدر السابق، ج٤، ص ٣٩٦.

(٢٢١) ابن القيم، زاد المعاد، مصدر سابق، ج٣، ص ٦٩١.

فقال المقوقس: " إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهاى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء - الغائب المستور وكأنه يشير إلى الإخبار بالمغيبات - بإطلاع الله له والإخبار بالنجوى، وسأنظر وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له " (٢٢٢)، ثم كتب إلى رسول الله ﷺ كتابًا فيه: " أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًا بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك، ولم يزد على هذا. ولم يُسلم. والجاريتان: مارية^(٢٢٣) وسيرين، والبغلة دلدل، بقيت إلى زمن معاوية " (٢٢٤).

ويعود حاطب بجواب المقوقس، وبما أهدى للرسول ﷺ، والمذكور في الكتاب أعظمه وليس كله ؛ لأنه رأى أشياء ستطيب للنبي ولا يهديها الملوك منها الحمار والآنية فبعث بها (٢٢٥). ورغب حاطب مارية بنت شمعون القبطية أم إبراهيم بن الرسول ﷺ في الإسلام فأسلمت، فقدم بها على رسول الله ﷺ المدينة مسلمة (٢٢٦)، في سنة سبع هجرية^(٢٢٧)، وقيل سنة ثمان هجرية (٢٢٨).

(٢٢٢) ابن سيد الناس، عيون الأثر، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٢٢٣) مارية، هي مارية القبطية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ، ابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق، ج ٦، ص ٢٦١.

(٢٢٤) ابن القيم، زاد المعاد، مصدر سابق، ج٣، ص ٦٩٢.

(٢٢٥) الواقدي، فتوح الشام، ضبط عبداللطيف عبدالرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م، ج١، ص ٣٨ وابن سيد الناس، عيون الأثر، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٣٨ وابن حديدة، المصباح، مصدر سابق، ج٢، ص ١١٣، ١١٥ وعبدالملك بن حسين بن عبدالملك المكي، سمط النجوم العوالي، المكتبة السلفية، ١٣٨٠هـ، القاهرة، ج١، ص ٤٠٤.

(٢٢٦) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٨، ص ٢١٢ وابن حديدة، المصباح، مصدر سابق، ج٢، ص ١١٠ وابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج٨، ص ٣١٠.

(٢٢٧) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٨، ص ٢١٢ وابن أبي خيثمة، التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة، تحقيق صلاح بن فتحى هلال، القاهرة، الفاروق والمدينة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٤م، ج٢، ص ١٧، ١٨ والطبري، تاريخ الأمم، مصدر سابق، ج٣،

كتاب حاطب قريش

ما فعله حاطب من الكتابة لإعلام كفار قريش بأن النبي ﷺ خارج لغزوهم أمر مشهور، " وقد قيل إنه كان في الكتاب: أن النبي ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل؛ وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده " (٢٢٩)، ووقع هذا منه الذي ندد به القرآن الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢٣٠)، وأعظمه الصحابة وأراد عمر أن يأذن له النبي ﷺ في قتله، وذلك حد الجاسوس بالدنيا. غير أنه شفع فيه شهوده بدرًا، وأنه ارتكب ذلك وهو على الإيمان لا ردةً ولا نفاقًا، والآية السالفة مثبتة لإيمانه، وجهاده، وإخلاصه، والنبي ﷺ قال: "إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك (يا عمر) لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " (٢٣١)، وإذن فما وقع من حاطب ﷺ كان خطأً وهو على الإيمان، وبعد سبق أعمالٍ جليلة رأينا عددًا منها كانت سببًا في دفع عقاب الدنيا والآخرة عنه، فقد اشتكى حاطبًا أحدُ غلمانه إلى رسول الله ﷺ فقال: " يا رسول الله ليدخلن حاطبُ النار، فقال رسول الله ﷺ: كذبت، لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية " (٢٣٢) .

ص ٢١، وابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٩٩ والشامي، أزواج النبي ﷺ، حققه محمد نظام الدين الفتح، دمشق، دار ابن كثير، ط ٤، ٢٠٠١م، ص ٢٢٩، ٢٣٠.
 (٢٢٨) أبو نعيم، معرفة الصحابة، مصدر سابق، ج ٦، ص ٣٢٤٦ وابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق، ج ٦، ص ٢٦١ وابن كثير، البداية، مصدر سابق، ج ٧، ص ٧٦.
 (٢٢٩) السهيلي، الروض الأنف، مصدر سابق، ج ٤، ص ٩٧.
 □ (٢٣٠) سورة الممتحنة، آية، ١.
 (٢٣١) البخاري، الصحيح، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٨٥٥. ومسلم، الصحيح، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٩٤٢، والحاكم، المستدرک، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٤٠.
 (٢٣٢) مسلم، الصحيح، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٩٤٢.

خروجه إلى أرض الفتوح رسولا

لقد رأينا أن حاطباً كان مبعوث رسول الله ﷺ إلى مصر، ولم يشهدا بعد ذلك فاتحاً وإنما شهدا مبعوثاً للصدیق رضي الله عنهما (٢٣٣).

فمرة ثانية يدخل حاطب مصر قبل فتحها، وهو يحمل كتاباً من الخليفة الصدیق إلى المقوقس، فتعطيه قرى الشرقية عهودها على مهادة المسلمين، ولم ينفذوا ما أعطوا إلا عندما قدم عمرو بن العاص سنة عشرين فاتحاً، فإنهم قاتلوه فقاتلهم (٢٣٤).

كثرة رقيق حاطب

تحدث في عهد عمر حادثة مرتبطة برقيق حاطب، وتوحي تلك الحادثة بكثرة رقيقه، فإنهم سرقوا ناقة لرجل من مزينة فانتحروها وأكلوها، فأمر عمر بقطع أيديهم ثم استدرک الأمر لما طرأ عنده من ظن تجويعهم، فعدل إلى أن يُعْرَم حاطباً ثمنها مضاعفاً (٢٣٥)، وقد استشكل هذا التبريم (٢٣٦) ولعله يُعلل بأن حاطباً كان يجيع رقيقه تشديداً عليهم من غير فقر؛ لأنه كان يشتغل في التجارة، وكان ذا مال (٢٣٧).

□ (٢٣٣) السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ص ١٥١.

(٢٣٤) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق، ج ١٨، ص ٣٢، ٣٣ وابن حديد، المصباح، مصدر سابق، ج ٢، ص ١١٧-١١٨ والمقرئزي، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩١م، ج ٣، ص ١٤٥.

(٢٣٥) مالك (الإمام)، الموطأ، صححه ورقمه... محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٧٤٨ والذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٣.

(٢٣٦) "أمر عمر كثير بن الصلت بن معد بن يكر بن الكندي المدني التابعي... أن يقطع أيديهم، زاد ابن وهب في موطئه ثم أرسل وراءه بعد أن ذهب بهم، ثم قال عمر، أراك -أظنك- تجيعهم ولابن وهب وقال، والله لا أظن أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى لو أن أحدهم وجد ما حرم الله عليه فأكله حل له لقطع أيديهم، ثم قال عمر لحاطب، والله لأغرمك غرماً يشق عليك قال الباجي لعله أداه اجتهاده إليه على وجه الأدب لإجاعته رقيقه وإحواجه لهم إلى السرقة، ولعله قد كرر نهيه إياه عن ذلك وحد له في قوتهم حدا لم يمتلئه، ولعله ثبت ذلك ببينة، أو بدعوى المزني معرفة حاطب ذلك وطلب يمينه فنكل، وحلف المزني، فغرم حاطباً وترك قطع العبيد للجوع... " محمد عبدالباقي الزرقاني، شرح على موطأ الامام مالك، بيروت، دار المعرفة ١٩٧٨م، بيروت، ج ٤، ص ٣٧-٣٨.

(٢٣٧) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج ٣، ص ١١٤، ١١٥ وابن قتيبة، المعارف، مصدر سابق، ص ٣١٨ والمقرئزي، المقفى الكبير، مصدر سابق، ج ٣، ص ١١٨، ١٤٦.

وفاته ﷺ

لربما يصح أن يقال: إنه اتفق على أن حاطباً تُوفِّيَ بالمدينة سنة ثلاثين، وهو ابن خمس وستين سنة (٢٣٨)، وما خرج عن هذا يحتمل غلظه (٢٣٩)، فكثير من المتقدمين (٢٤٠) والمتأخرين (٢٤١) لم يذكروا خلافاً.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي تقصيت فيه رسل النبي ﷺ إلى ملوك العجم، متناولاً أهم ما عرف من حياتهم. ومتوصلاً إلى نتائج عدة، هي:

- عالمية رسالة محمد ﷺ، خاتم رسل الله أجمعين.
- تحقق لمن ليس بدرياً من الرسل تقرب من رسول الله ﷺ بخدمة - خاصة - أو مصاهرة.
- كل منهم لقي ما يخيفه على حياته في مسيره لإبلاغ كتاب النبي ﷺ إلى الملك المقصود.
- كل واحد منهم أدلى بحججه إلى من أرسل إليه.

هذا والله أسأل صلاح النية، وسداد الرأي، والغفو عن الزلل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(٢٣٨) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٣، ص ١١٤ والبلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص ٢٠٢.

(٢٣٩) البيهقي، دلائل النبوة، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٩٦.

(٢٤٠) ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج٣، ص ١١٤ وخليفة، الطبقات، مصدر سابق، ص ١٣٠ وابن قتيبة، المعارف، مصدر سابق، ص ٣١٨ والبلاذري، أنساب الأشراف، مصدر سابق، ص ٢٠٢ والطبراني، المعجم الكبير، مصدر سابق، ج٣، ص ١٨٤ وأبو نعيم، معرفة الصحابة، مصدر سابق، ج٢، ص ٦٩٥.

(٢٤١) ابن الجوزي، المنتظم، مصدر سابق، ج٥، ص ١٠ وابن الأثير، الكامل، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨م، ج٣، ص ٥٨ والصفدي، الوافي، مصدر سابق، ج١١، ص ٢١٠ والياضي، مرآة الجنان، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٣م، القاهرة، ج١، ص ٨٤ وابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج٢، ص ٥.